وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه
قسم علوم القرآن والحديث الشريف

البيان والتعقيب في النص القرآني

دراسة تفسيرية

رسالة قدمت الى مجلس كلية الفقه/ جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

تقدمت بها الطالبة
لواء حميزة كاظم
العياشي
بإشراف
أ.د.صباح عباس عنوز

١٤٣٣هـ ٢٠١٢ م

تمهيد

مفهوم البيان والتعقيب في العربية

أولاً: مفهوم البيان

البيان لغةً:

البيان: من (بَيَّنَ)، و أصله (بَيَنَ) وهو الكشف والظهور، أي إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهومن الفهم وذكاء القلب مع اللسان، وقيل هو الفصاحة واللسُن. وقيل أيضاً: هو ما يتبين به الشيء من الدلالة، فيقال: فلان أبين من فلان، أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والجذر (بَـيَّنَ)، غير (بَيْنَ) الذي هو ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بالإضافة إلى اثنين فصاعدا، وذلك في قوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾.[1] ويقال: أبان الشيء فهو مبين بمعنى مظهر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.[2] واستبان الشيء: وضح، واستبنته: عرفته،[3] كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾.[4] وتبين: وضح وظهر، والتبيين: الإيضاح والوضوح، ويقال تباين القوم: أي تهاجروا وتباعدوا. أما التبيان: فهو مصدر، بمعنى الكشف والإيضاح، يشذ عن باقي المصادر؛ لأنه جاء بكسر التاء، من دون غيره من المصادر التي تأتي بفتح

---

[1] البقرة:٦٨.

[2] البقرة:١٦٨.

[3] لسان العرب: ابن منظور،٦٩/١٣، تاج العروس: الزبيدي،٨٢/١٨.

[4] الصافات:١١٧.

التاء.[١] فجاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾.[٢] ومعنى فتبينوا أي اطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تعجلوا فيه.[٣] وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.[٤] معنى ذلك أنه قد ظهر بكثرة الحجج.[٥]

والفرق بين البيان والتبيان ((إن البيان جعل الشيء مبينا بدون حجة، والتبيان جعل الشيء مبينا مع الحجة))[٦]، فكأنه مبني على أن زيادة المبنى لزيادة المعنى. وهذا ما تبينه الآيتان، في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.[٧] وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[٨] فمعنى البيان في الآية الأولى، وصف للقرآن الكريم؛ لأنه دلالة للناس وحجة لهم. ومعنى تبيان لكل شيء: بيان لكل أمر مشكل بحجة قائمة.[٩]

ويقال للذي يشرح: يبين، فالشرح هو البيان، كما يقال للفسر: البيان. وخلاف البيان العيُّ، فالبيان بصر، وهومن نتاج العلم، والعيّ عمي، وهومن نتاج الجهل. وهناك نظائر للبيان،

---

(١) غريب الحديث: ابن سلام،٢/٣٣، النهاية في غريب الحديث:ابن الأثير،١/١٧٤ ، الصحاح: الجوهري،٥/٢٠٨٢-٢٠٨٣، مجمع البحرين:الطريحي،١/٢٧٦.

(٢) النساء:٩٤.

(٣) ظ:مجمع البحرين: الطريحي،١/٢٧٤.

(٤) البقرة:٢٥٦.

(٥) ظ:التبيان:الطوسي،٢/٣١١.

(٦) مجمع البحرين:الطريحي،١/٢٧٤، ظ:كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي،٢٢٠.

(٧) آل عمران:١٣٨.

(٨) النحل:٨٩.

(٩) ظ:التبيان:الطوسي،٢/٥٩٩، ٦/٤١٨.

وهي البرهان والسلطان، لكن تختلف حدودها.[١] ((فالبيان إظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه. والبرهان: إظهار صحة المعنى وإفساد نقيضه. والسلطان: إظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالإبطال)).[٢] كما في قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾.[٣]

وأما الفرق بين البيان والفائدة ((ما ذكر ليعرف به غيره فهو بيان، كقولك غلام زيد وإنما ذكر ليعرف به الغلام فهو للبيان، ... والفائدة ما ذكر ليعرف في نفسه نحو قولك قام زيد إنما ذكر قام ليعرف أنه وقع القيام)).[٤]

وقال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾.[٥] والمراد من البيان هنا ((إن الله سبحانه خلق فيه التمييز الذي بان به من سائر الحيوان)).[٦]. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾.[٧] ومعنى البيان هنا:((إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره، ونقيض البيان الإخفاء، والإغماض)).[٨]

البيان اصطلاحاً:

المعنى الاصطلاحي للبيان ليس ببعيد عن معناه اللغوي، فعرّف الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) البيان بأنه:((الأدلة التي يفرق بها بين الحق والباطل)).[٩]

---

[١]ظ:الصحاح:الجوهري،٢٤٤٢/٦، ٧٨١/٢، كتاب العين:الفراهيدي،٩٣/٣، كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي،٥٥.

[٢]الفروق اللغوية:أبو هلال العسكري،١٠٨،

[٣] الكهف:١٥.

[٤] الفروق اللغوية:أبو هلال العسكري،١٠٨.

[٥] الرحمن:٤.

[٦]التبيان:الطوسي،٤٦٣/٢.

[٧] القيامة:١٩.

[٨] تفسير مجمع البيان:الطبرسي،١٩٦/١٠.

[٩] التبيان:الطوسي،٢٨٢/٢.

وهناك ثلاثة آراء في البيان:

الرأي الأول جعل البيان يشمل كل شيء، وهو ما ذهب إليه الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) إذ قال: هو ((اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته، ... فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)).[١]

والرأي الثاني: خص البيان بالإنسان فقط؛ لأن له علاقة بالكلام، وهو ما قاله الأصفهاني(ت:٥٠٢هـ) في تعريف البيان هو ((الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق مختص بالإنسان)).[٢]

والرأي الثالث: خص البيان بالكلام، وذلك متمثل في قول الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) عندما عرف البيان قائلاً: هو ((المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير)).[٣]

إذن معنى البيان عند الجاحظ يضم الفصاحة والبلاغة وحسن النظم في الكلام، والهمس والخفة والجهر في الحركات، شرط أن يكون المعنى متضمناً في داخلها. أما معنى البيان عند الراغب فهو أخص من الجاحظ، إذ يكون في كلام الإنسان فقط، وأخص منه الزمخشري إذ جعل البيان فقط في النطق.

وعليه يكون معنى البيان هو الدلالات الموصلة للعلم؛ لأن البيان عبارة عن أمر يتعلق بالتعريف والإعلام وإنما يحصل الإعلام بدليل، والدليل محصل للعلم.[٤]

---

[١] **البيان والتبيين:الجاحظ،١/٧٥-٧٦.**

[٢] **مفردات غريب القرآن:الأصفهاني،٦٩.**

[٣] **الكشاف:الزمخشري،٤/٤٣.**

[٤] **ظ:التبيان:الطوسي،٢/٢٨٢، كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، ٢٢٠.**

وحسن البيان هو إخراج ما لا يقع به الإحساس الى ما يقع به، فقد يكون ذلك بكلام فاسد، فلا يستحق عندها صفة البيان، ولكن يقال: أبان عن مراده مجازاً.[١]

وبيان القرآن أشرف بيان وأهداه، وأكمله وأعلاه، ولما كان الغالب في زمان نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) البيان والبلاغة والفصاحة، فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم بما فيه من عجائب النظم، وغرائب البيان.[٢]

أوجه البيان

قسمها صاحب الكشاف على النحو التالي

- بيان تقرير: هو توكيد الكلام بما يرفع احتمال المجاز والتخصيص، فأما أن يكون بياناً لمعنى الكلام أو اللازم له.[٣] نحو قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.[٤] فحصل معنى العموم بذكر الكل، فصار لا يحتمل التخصيص.
- بيان تفسير: هو بيان ما فيه خفاء من المشترك والمجمل، والمشكل والخفي.[٥] كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.[٦] فالصلاة والزكاة مجمل فلحقهما بيانٌ بالسنة.[٧]
- بيان تغير: هو تغيير موجب الكلام كالاستثناء.[١]

---

[١] **التبيان:الطوسي،٢/٢٨٢، ٣١٣، ٣٤٣.**

[٢] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٢/٢٩٩. إعجاز القرآن:الباقلاني،٢٨٢.**

[٣] **ظ:كشاف اصطلاحات الفنون:التهانوي،٢٢١، التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي، ١٤٩.**

[٤] **ص:٧٣.**

[٥] **ظ:كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي،٢٢٢.**

[٦] **البقرة:٤٣.**

[٧] **التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي،١٥٠.**

- بيان تبديل: يسمى النسخ، أي نسخ حكم شرعي بدليل شرعي متأخر.[٢]
- بيان ضرورة: هو بيان يقع بغير ما وضع للبيان، إذ الموضوع له النطق، و هذا يقع بالسكوت الذي هو ضده.[٣] كما في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾.[٤] فقوله (وورثه أبواه) يوجب الشركة مطلقاً، وقوله (فلأمه الثلث) يدل على أن الباقي للأب.[٥]

---

[١] **ظ:كشاف اصطلاحات الفنون:التهانوي،٢٢١.**

[٢] **ظ: كشاف اصطلاحات الفنون:التهانوي:٢٢١، التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي،١٥٠.**

[٣] **ظ: م.ن،٢٢٢.**

[٤] **النساء:١١.**

[٥] **ظ:كشاف اصطلاحات الفنون:التهانوي،٢٢٢.**

ثانياً:مفهوم التعقيب

التعقيب لغةً:

التعقيب: مصدر على وزن تفعيل، وجذره عقّب. والعقب: هو مؤخر القدم، وعاقبة كل شيء آخره، قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[1] وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تسمية الله تعالى له (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:((سماني العاقب أنا عقب النبيين ليس بعدي رسول)).[2] وجمعه أعقاب، أو ثلاثة أعقبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.[3] ويقال عقب الرجل: ويُراد منه ولده وولد ولده الباقون من بعده. ومنه يُقال:(لا عقب له): والمقصود أنه لم يبق له ولد ذكر. ويقال أيضاً: (ولى فلان على عقبه): ومعنى هذا أنه ذهب في وجه ثم انثنى راجعاً. والمعقب: هو الذي يتتبع عقب إنسان في طلب حق أو نحوه. وفرس يعقوب: ذو عقب، ومعقب في عدوه: يزداد جودة.[4]

والتعقيب: هوأنصرافك راجعاً من أمر أردته. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾.[5] فمعنى

---

[1] **الرعد: ٤٢.**

[2] **الخصال: الصدوق، ٤٢٥.**

[3] **آل عمران: ١٤٤.**

[4] **ظ: كتاب العين: الفراهيدي،١٧٨/١، الصحاح: الجوهري، ١٨٤/١، لسان العرب: ابن منظور، ٦١٣/١.**

[5] **البقرة: ١٤٣.**

العقب في الآية هو: الرجوع إلى أمر تريده.[١] ويقال التعقيب لغزوة بعد غزوة وسير بعد سير.[٢]

التعقيب اصطلاحاً

أبدع العلماء القدامى منهم والمحدثون، في بحوثهم المتعلقة بالقرآن الكريم، حتى بلغت مؤلفات المباحث القرآنية بالألوف. فضلا عن المقالات والكتيبات. وأسلوب التعقيب من الأساليب التي قل من ألف فيه. ولكن تعرض له القدامى في بطون مؤلفاتهم للبيان، فكثرة عبارة (ومن البيان تعقيب الكلام بمصدر معظم بمن أُضيف إليه).[٣] فالعبارة تشير الى أن أسلوب التعقيب من الأساليب الموضحة والمبينة، لمراد المتكلم عند السامع. ومن وظائفها التعظيم، إن كان التعقيب بمصدر. وأشار الى هذا المعنى أحمد أبو زيد بقوله(أن التناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية يمثل خاصية بارزة من خصائص البيان القرآني).[٤]

فالتعقيب أسلوب تعبيري أختص به القرآن الكريم لتجسيم الحكمة الألهية لنص ما في القرآن الكريم، مع وجود علاقة بين النص والتعقيب، ويأتي التعقيب بهيآت مختلفة؛ لبيان دلالات مختلفة، فيكون التعقيب كاشفاً على النص.[٥]

فالتعقيب يعني ((الرجوع من أمر ما بعد الانتهاء من أدائه، وهذا يقتضي الابتداء في مزاولته مرة أخرى بعد الأداء، كذلك فإن التعقب يقتضي أن يكون ختاما لشيء ما، وتذييله بحيث صار التعقيب آخر هذا الشيء)). [٦]

---

[١] ظ: التبيان: الطوسي، ١٠/٢.

[٢] ظ: كتاب العين: الفراهيدي، ١٧٨/١، الصحاح: الجوهري، ١٨٦/١.

[٣] نقلاً عن أسلوب التعقيب في القرآن الكريم: د. محمد الكواز، ١٤.

[٤] التناسب البياني:أحمد أبو زيد،٩٧.

[٥] ظ: دلالة أسلوب التعقيب في القرآن الكريم: د. أحمد كاظم عمّاش، ١.

[٦] ظ: أسلوب التعقيب القرآني :د.أسامة عبد العزيز،٩.

ومعنى التعقيب في القرآن الكريم، هو ((ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها [الآية]، تذيل به الآية زيادة في البيان، ومحافظة على وحدة الإيقاع)).[1] وقصد بهذا التعريف أن التعقيب يأتي في نهاية الآية، أو نهاية القصة. وأراد من وحدة الايقاع، أنتهاء آيات بعض الصور بمقطع متشابه. وعمل الباحثة كان في النصوص القرآنية التي موضوعها بيان وتعقيب غير متشابهة لآية أخرى.

ومن يرى اقتصار التعقيب على نهاية الآيات والقصص يقسم التعقيب على النحو الآتي:

١. تشابه النصوص مع اختلاف التعقيب؛ لأن الأمر الحاكم لاختلاف التعقيب في كل آية هو التناسب الدلالي والنصي لسياق الآية.[2] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.[4] فكان التعقيب في النصين مراعاة لحال المتلقي، إذ عقب في النص الأول قائلاً:(افترى إثما عظيما)؛ لأن المتلقي أهل الكتاب وما اضافوا من افتراءات للكتاب المقدس. والمتلقي في النص

---

[1] **ظ: التناسب البياني: أحمد أبو زيد،٩١.**

[2] **ظ: اسلوب التعقيب القرآني: د. اسامة،٥٢.**

[3] **النساء:٤٨.**

[4] **النساء: ١١٦.**

الثاني أهل مكة الأميين الذين اعتمدوا على عقلهم البدائي في الحكم على النص الإلهي. فقادهم إلى الضلال.[1]

والأمر الآخر الحاكم لاختلاف التعقيب هو جمالية السياق، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.[2] ففي الآية الأولى عقّب (افلا تسمعون) مناسبة للحديث عن الليل؛ لأنه حائل عن المبصرات، وعقّب (افلا تبصرون) مناسبة للحديث عن النهار؛ لأن المبصرات تدرك نهاراً.[3]

٢. اختلاف النصوص وتشابه التعقيب، وهو على شكلين:

أ- التعقيب بالتكرار: ويتخذ نسق معين ولا بد من بيان غرض التكرار، كما في سورة الرحمن إذ تكرر قوله تعالى: ﴿فبأي ألاء ربكما تكذبان﴾ (٣١) مرة.

ب- التعقيب بغير التكرار: يتكئ هذا اللون من التعقيب القرآني على فنية التنوع من آية لأخرى، ومن نمط تعبيري لآخر في سياق التركيب القرآني. كإيراد أسماء الله الحسنى بصورة ثنائية في نهايات الآيات.

---

[1] **ظ: اسلوب التعقيب القرآني: د. أسامة: ٤٩.**

[2] **القصص: ٧١-٧٢.**

[3] **ظ: أسلوب التعقيب القرآني: د. أسامة، ٥١.**

فنلحظ من الكلام الآنف الذكر أن معنى التعقيب مقارب لمعنى التذييل؛ لأن التعقيب يأتي في نهاية النص، و التذييل هو (أتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام)[١]

وعليه نستشف معنى للتعقيب: وهو إلحاق كلام لكلام يسبقه، يماثله بالموضوع.

وقد يكون التعقيب للإيضاح والتبيين، فعندما يكون الكلام السابق فيه نوع من الخفاء، فالتعقيب يأتي في مقام إزالة ذلك الخفاء.[٢]

الفصل الأول: أهمية البيان والتعقيب

---

[١] **الطراز: العلوي، ٤٥٣.**

[٢] **ظ: مفتاح العلوم:السكاكي،٢٥٣.**

المبحث الأول: أهمية الخطاب الديني

المطلب الأول:مفهوم الخطاب الديني وصوره وعناصره

المطلب الثاني:البيان والتعقيب وأهميته في الخطاب الديني القرآني

المبحث الثاني: الأهمية الإعجازية

المطلب الأول:مفهوم الإعجاز

المطلب الثاني:البيان والتعقيب في الأهمية الإعجازية

المبحث الأول: أهمية الخطاب الديني

المطلب الأول:مفهوم الخطاب الديني وصوره وعناصره

أولاً:الخطاب الديني لغةً واصطلاحاً

الخطاب الديني لغةً:

مصطلح الخطاب الديني متكون من مصطلحين، هما الخطاب والدين.

الخطاب والدين لغةً:

الخطاب مصدر الفعل (خاطب)، ومعناه مراجعة الكلام.[١] وقيل بمعنى الحديث والقول.[٢] ويستعمل للدلالة على توجيه الكلام لمن عقل ويفهم.[٣] فمعنى الخطاب في اللغة هو الكلام الذي يحمل رسالة للمُخاطب، لهدف قصده المتكلمة، وبمعنى آخر يطلق لفظ الخطاب على الكلام الذي يكون فيه ملقي ومتلقي ورسالة هادفة لرغبة الخطيب.

والدين: من دان، وهو بمعنى الجزاء والمكافأة، أو الطاعة.[٤] ويضف الجوهري (ت:٣٩٣هـ) معنى للدين، وهو المتعارف عليه ((ومنه الدين، والجمع الأديان، يقال: دان بكذا ديانة وتدين به، فهو دين ومتدين)).[٥] ومن الدين: الديان: وهو من أسماء الله (عز وجل)، بمعنى الحاكم والقاضي والقهار.[٦]

إذن معنى الخطاب الديني لغةً: هو الكلام المتعلق في الجزاء والحساب، أي هو الكلام العقائدي.

الخطاب الديني اصطلاحاً:

---

[١] **ظ:كتاب العين:الفراهيدي، ٢٢٢/٤ ، لسان العرب:ابن منظور،٣٦١/١.**

[٢] **ظ:الخطاب الديني: د.خلود العموش،٢٢.**

[٣] **ظ:مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر:د.محمد الفرّان،١٧.**

[٤] **ظ:كتاب العين: الفراهيدي،٧٣/٨ ، الصحاح: الجوهري،٢١١٨/٥.**

[٥] **الصحاح:الجوهري،٢١١٩/٥.**

[٦] **ظ:لسان العرب:ابن منظور،١٦٦/١٣-١٦٧.**

الخطاب هو ((بناء من الأفكار والمفاهيم، تصاغ في بنية استدلالية ذات مقدمات ونتائج،... من أجل تقديم وجهة نظره الإخبارية أو الإقناعية للمخاطب القارئ أو السامع أو الناظر)).[١] وبمعنى آخر هو ((رسالة من مرسل الى مستقبل لغاية التأثير عليه، ولغاية إقناعه بها عن طريق التأثير عليه بوسائل متعددة)).[٢]

والدور الأساسي الذي يلعبه الخطاب هو ((تشكيل البنية الذهنية داخل المجتمعات الإنسانة بمختلف مكوناتها ومستوياتها، وكذا التأثير الفعال الذي يتركه في نفوس المتلقين له)).[٣]

فالخطاب ((لا يُنطق من العدم وأنما من خطابات أخرى تتفاعل فيما بينها مولدة نصا ونصا موازيا له)).[٤]

والخطاب يرادف البيان والتبيان من حيث كونه يقتضي طرفين ملقي ومتلقي، عن طريق رسالة معلومة.[٥] ويماثل الحوار بعناصره: المرسل والمستقبل والرسالة.[٦]

الدين اصطلاحاً:

هو علاقة خضوع وأنكسار اتجاه موجود أعلى، وعلى هذه العلاقة يبني الإنسان علاقته مع باقي الموجودات.[٧] وبمعنى آخر للدين هو ((سلوك إزاء الوجود، بخضوعه مع سائر الموجودات لله، أو كفره و جحوده [به تعالى])).[٨]

---

[١] مظاهر التجديد في الخطاب الديني: د.محمد الفران،١٧.

[٢] www.shroog2.com: مفهوم الخطاب كوسيلة اتصالية،د.محمد ناصر الخوالده.

[٣] مظاهر التجديد في الخطاب الديني: د.محمد الفران،١٧.

[٤] www.dahsha.com :الخطاب الأدبي و آليات تحلله:ابن السايح الأخضر.

[٥] ظ:مظاهر التجديد في الخطاب الديني:د.محمد الفران،١٩.

[٦] ظ:www.shroog2.com ، منتدى جريدة شروق: مفهوم الخطاب كوسيلة اتصالية:د.محمد ناصر الخوالده.

[٧] ظ:مظاهر التجديد في الخطاب الديني:د.محمد الفران،٦٣.

[٨] م.ن:٦٤.

وعليه فإن الخطاب الديني في المعنى الاصطلاحي:

هو الخطاب الذي يكون فيه الكلام عن الله تعالى، وعن علاقته بالمخلوقات، وعن عالم الغيب، أي هو الكلام الروحي الذي فيه اتصال بالخالق.

ثانياً: صور الخطاب الديني وعناصره:

الخطاب عملية تواصل تتم عبر إطارين: [1]

- الإطار اللغوي: وهو عبارة عن مجموعة من الجمل المنطوقة أو المكتوبة، تصدر من مرسل واحد أو عدة مرسلين.
- الإطار غير اللغوي: وهو يشمل العادات والتقاليد والأعراف والأخلاق.

أما عناصر الخطاب فهي خمس:[2]

- المرسِل: وهو الذي تقع على عاتقه مسؤولية توصيل مضمون الخطاب الديني.
- المستقبل: هو الجمهور الذي توجه إليه الرسالة.
- الرسالة: وما تتضمنه من موضوع ومحتوى ولغة.
- الهدف والمتابعة: فالهدف يؤثر في المرسِل تأثير مباشر في اختيار الألفاظ والأسلوب. وكذلك التقويم والمتابعة المستمرة تكون حافز للمرسِل والمتلقي في تحديد الهدف من الخطاب.
- وسائل الاتصال والمناسبة: فعند استعمل وسائل الاتصال المتطورة، له الدور في إيصال أكبر سعة ممكنة من صوت المرسل، كما أن المناسبة تؤثر في تحديد أهمية الخطاب، فكلما كانت المناسبة ذات أهمية بالغة يبلغ الخطاب بها.

---

[1] ظ:الخطاب القرآني: د.خلود،٢٣.

[2] ظ:م.ن،٢٣، جريدة الشرق الأوسط: الخطاب الديني ومتطلبات الواقع المعاصر، العدد:١١٩٣٥، ٢أغسطس/٢٠١١م - ٣رمضان/١٤٣٢هـ.

ثالثاً: الخطاب القرآني

ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم، بصيغتين صيغة الفعل وصيغة المصدر ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾.[1] وجاء الخطاب في هذه الآية بمعنى الكلام، وفصل الخطاب أي ((تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة واحد لغيره وتمييز حقه من باطله وينطبق على القضاء بين المتخاصمين في خصامهم)).[2] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾.[3] ومعنى (عزني في الخطاب) صار أعز مني في مخاطبته؛ لأنه أن تكلم فهو أبين مني.[4] وفي قوله تعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴾.[5] والخطاب هنا بمعنى الشفاعة.[6]

وصيغة الفعل جاءت في القرآن الكريم ثلاث مرات أيضاً، في قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾.[7] وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن

---

[1] ص:٢٠.

[2] تفسير الميزان: الطباطبائي،١٩٠/١٧.

[3] ص:٢٣.

[4] ظ: جامع البيان: ابن جرير الطبري،١٧١/٢٣.

[5] النبأ:٣٧.

[6] ظ: الميزان: الطباطبائي،١٧١/٢٠.

[7] هود:٣٧.

سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾.[١] وقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾.[٢]

والخطاب القرآني جاء بالصور اللغوية الأدبية، أي الخطاب الأدبي، وذلك لما يحمل من تأثير في الذوق، وتعديل السلوك، كما أنه لا يؤثر عليه تقلب الزمان ولا تغير المكان، وقدرته على إيصال محتواه الى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها.[٣]

ومعنى الخطاب الأدبي هو ((خلق لغة من لغة ... [وهو] تشكيل جمالي، استوعب في حدثه اللساني الألفاظ والمعاني والأخيلة والصور والأفكار والرؤى)).[٤]

والخطاب في القرآن الكريم على وجوه:[٥]

- خطاب عام، ومراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾.[٦] أو يراد الخصوص، كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾.[٧]

---

(١) المؤمنون:٢٧.

(٢) الفرقان:٦٣.

(٣) ظ: forum.islamstory.com : الخطاب الأدبي في القرآن الكريم.

(٤) www.dahsha.com :الخطاب الأدبي و آليات تحليله: ابن السايح الأخضر.

(٥) ظ:الألطاف الإلهية في الخطابات القرآنية: السيد عبد الله الشبستري،١٤-١٥.

(٦) الروم:٤٠.

(٧) النساء:١.

- خطاب خاص، والمراد به الخصوص، كقوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.[1] إذ لم يدخل فيه الأطفال والمجانين. أو يراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾.[2]

- خطاب المدح، كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.[3] وخطاب الذم، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[4]

المطلب الثاني: البيان والتعقيب وأهميته في الخطاب الديني القرآني

الأهمية الأولى: تقريب الصورة للذهن

---

[1] آل عمران:١٠٦.

[2] الطلاق:١.

[3] الأنفال:٢٩.

[4] التحريم:٧.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.[1]

سبب النزول:

جاء الأمر الإلهي بعدم إتباع خطوات الشيطان في القرآن الكريم خمس مرات. مرة يخاطب الناس، ومرة يخاطب المؤمنين، وأخرى يخاطب المشركين.

تحث الآية على الوعي في اختيار ما يقبله العقل ونبذ التقليد الأعمى، والخطاب في الآية الكريمة موجه لجميع الناس؛ لأن الحكم بيان لما يبتلي به الكل. وسبب نزول الآية، هو أن بعض القبائل الجاهلية كانت تحرم بعض الأنعام، وهذا التحريم بقى قائماً عند بعض المسلمين، فنهى الله تعالى عمّا كانوا يفعلونه، وأمر المؤمنين بخلافه، والآية دالة على إباحة المآكل إلا ما دل الدليل على حظره.[2]

البيان:

قوله تعالى: (كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) يفيد الإباحة العامة من غير تقييد. إلا ما أخرج الدليل حرمته،[3] كما في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

---

[1] **البقرة:١٦٨-١٦٩.**

[2] **ظ: التبيان: الطوسي،٢/٧٢ ، الميزان: الطباطبائي،١/٤١٧ ،الأمثل: الشيرازي،١/٤٧٦.**

[3] **ظ: الميزان: الطباطبائي،١/٤١٨.**

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.[1]

أما سبب جمع الصفتين (حلالا طيبا) وذلك ((لاختلاف الفائدتين: إذ وصفه بأنه حلال يفيد بأنه طلق. ووصفه بأنه طيب يفيد أنه مستلذ إما في العاجل وإما في الآجل)).[2]

(لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تتبعوا آثاره ولا تقتدوا به. فتحللوا ما حرم الله سبحانه وتحرموا ما أحل الله تعالى وفيها منع عن المشي الذي يضع فيه الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان.[3]

(أنما يأمركم بالسوء) فحصر الأمر بالسوء والفحشاء، وأراد منه أنه لا يدعوكم الى الخير أبدا، وفيها إشارة إلى لوجوب الانتهاء عن أتباعه وظهور عداوته.[4]

ومن خلال ما مر يمكن الاستفادة، إن الآية تهدف الى بيان أصل الأغذية الموجودة على الأرض حلال، ما لم تثبت حرمته بدليل صحيح. وتبين أيضا مسألة تربوية، إذ الانحرافات تدخل ساحة الإنسان بشكل تدريجي. وبينت أيضا أن الشيطان عدو قديم، بين العداوة منذ أول الخلقة. كما أن الآية الكريمة بينت الطريقة التي يوسوس فيها الشيطان، فالوسوسة تأثير خفي.[5]

---

[1] **المائدة:٣.**

[2] **التبيان:الطوسي،٢/٧٢.**

[3] **ظ:م.ن،٢/٧١ ، الكشاف: الزمخشري،١/٣٢٧ ، الميزان: الطباطبائي،١/٤١٩.**

[4] **ظ: الكشاف: الزمخشري،١/٣٢٧.**

[5] **الأمثل:الشيرازي،١/٤٧٦-٤٧٨.**

وعبرت الآية الكريمة عن وسوسة الشيطان بالوحي في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾.[1] وهو يختلف عن الإلهام الإلهي، الذي ينسجم مع الفطـــرة الإنســـانية ويترك في النفس حالة انبساط وأنشراح. بينما الوسوسة الشيطانية تجعل القلب يحس بظـــلام وأنزعاج وثقل، وإن لم يحس به قبل ارتكاب السيئة، لكنه سيدرك الإحســـاس بعـــد ارتكـــاب الجريمة.[2]

التعقيب:

في الآية الكريمة كان الخطاب العام موجهاً لكل الناس، وابتدأ الخطاب بالنـــداء، حتـــى ينتبهوا الى الحكم. فقال المفسرون أن الحكم المستفاد من الآية هو أصل الحلية. لكن في الآية الكريمة جاءت (من) وأفادت التبعيض، فهل التبعيض يلغي قاعدة أصل الحلية في الأكل؟ فـــي الآية الكريمة إشارة الى أن الله تعالى لم يبح أكل كل ما في الأرض.

وعقّب بعدها قائلا (حلالا طيبا) وفيه إشارة الى أن العقل السليم يستطيع أن يـــدرك مـــا يؤكل، وهو عندما ترغب النفس الإنسانية الطيبة لأكل ما أحله الله تعالى.

وبعدما بين الله سبحانه الحلال مما يؤكل أعقب ناهيا من إتباع أوامر الشيطان. والأمـــر عادةً يكون من أعلى مرتبة الى الأدنى، فلما وصف الله سبحانه دعوة الشيطان بأنها أمر كان أراد أن يبين، من يطع الشيطان في إتباع خطواته، تكون منزلته أقل من منزله الشيطان، فأن كان الشيطان مطروداً من الرحمة الإلهية فما منزلة هؤلاء الذين يلبون دعوته؟

---

[1] **الأنعام: ١٢١.**

[2] **ظ: الأمثل: الشيرازي، ١/٤٧٩.**

إذن نلحظ أن البيان والتعقيب في الخطاب القرآني يبين لنا أهمية العقل السليم في معرفة الحلال من الحرام.

الأهمية الثانية: التخويف

قال تعالى في القصاص: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

سبب النزول:

سبب نزول الآية أنه ((كان بين حيين من أحياء العرب قتال، وكان لأحد الحيين طول على الآخر، فقالوا: نقتل بالعبد منا الحر منكم، ونقتل بالمرأة الرجل)).[2] وقيل بمعنى آخر أن سبب النزول، إذ كان شائعاً بين القبائل العربية الانتقام بين القبائل، ولم يكن له حدود، فعند قتل رجل سيكون كل قبيلة القاتل في تهديد. فجاء الحكم الإسلامي ليجزم الأمر بين عرفين قائمين عند العرب، عرف يرى حتمية القصاص، وآخر حتمية الدية. فجاءت الآية لتقرر القصاص عند عدم موافقة أولياء المقتول على أخذ الدية، أو قبول الدية.[3]

---

[1] **البقرة:١٧٨.**

[2] **أسباب نزول الآيات: الواحدي،٣٠.**

[3] **ظ:الأمثل:الشيرازي،١/٥٠١.**

البيان:

قيل في الآية أقوال، منها أنها ناسخة[1] لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[2] وابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) يرى أن آية (النفس بالنفس ...) ناسخة لآية (العبد بالعبد ...).[3] ولكن الطوسي (ت:٤٦٠هـ) والسيد الخوئي (ت:١٤١٢هـ) لا يرونها الآية ناسخة أومنسوخة؛ ((لأن ما تضمنته معمول عليه ولا ينافي قوله تعالى: (النفس بالنفس)؛ لأن تلك عامة، ويمكن بناء تلك على هذه، ولا تناقض ولا يحتاج الى أن ينسخ إحداهما بالأخرى)).[4] ويرى السيد الخوئي أن الآية الأولى محكمة ولم يرد عليها نسخ. والثانية مطلقة من حيث العبد والحر والذكر والأنثى، فلا صراحة لها في حكم العبد والأنثى، وهي ليس في مقام بيان خصوصية القاتل والمقتول، وإنما في مقام بيان المساواة في مقدار الاعتداء.[5] بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.[6]

---

[1] **ظ:تفسير العياشي: العياشي،١/٧٥ ، تفسير القمي: القمي،١/١٣.**

[2] **المائدة:٤٥.**

[3] **ظ: نواسخ القرآن: ابن الجوزي،٥٦.**

[4] **التبيان: الطوسي،٢/١٠٢.**

[5] **ظ: البيان: الخوئي،٢٩٣.**

[6] **البقرة:١٩٤.**

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) يعني المساواة في طريقة القتل، فيعامل القاتل بنفس الطريقة التي قتل بها المقتول.[١]

فقال تعالى:(كتب عليكم)، فكيف يفرض وبعدها يخير بين القصاص والعفو وأخذ الدية؟ الفرض أما أن يكون مضيقا أي الوجوب أو يكون مخيرا، وفي الآية فرض عليكم أن اختار أولياء المقتول القصاص، بدليل قوله (فمن عفي له من أخيه). ومعنى قوله (تخفيف من ربكم)، أنه جعل لكم القصاص، أو الدية أو العفو، وكان لأهل التوراة قصاص وعفو، ولاهل الإنجيل عفو ودية.[٢]

وذهب أهل السنة الى أن الرجل يقتل بالمرأة، وعند الإمامية، ولي دم المرأة مخير بين المطالبة بديتها، أو المطالبة بالقصاص، بشرط أداء نصف دية الرجل.[٣]

التعقيب:

بينت الآية الكريمة، مدى عدالة الله سبحانه في الحكم، وكذلك بينت مدى قيمة النفس الإنسانية، فمهما كانت يجب احترامها.

فلما خاطب الله تعالى المؤمنين، أن حكم القاتل، أن يُقتَل بالقصاص. وبعدها أعقب مبينا أن قتل العبد بالعبد، وقتل الذكر بالذكر وقتل الأنثى بالأنثى. ولا يدل هذا على حب سفك الدماء. وإنما بيان أن إيذاء النفس الإنسانية عمل كبير عند الله تعالى، فأنه تعالى مستعد أن يسفك دم من يهتكها.

إذن فالخطاب الديني في القرآن الكريم بين لنا العدل الإلهي واللطف في الحفاظ على المجتمع من الانهيار، والهتك.

---

[١] ظ:تفسير الإمام العسكري، المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام)،٥٩٧.

[٢] ظ: التبيان: الطوسي،٢/١٠٠-١٠١.

[٣] ظ:البيان:الخوئي،٣٩٢.

الأهمية الثالثة: التوكيد

قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.[1]

سبب النزول:

تفاخر رجلان من الأوس والخزرج، الى أن غضبا، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأنزل الله تعالى الآيات، وقرأها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتصالحوا.[2]

البيان:

في رواية أبي عمر بإسناده عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال:((نحن الحبل)).[3] وفي رواية عبد الله بن محمد بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال:((إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين يقولون يا عباد الله هذا الطريق فاعتصموا بحبل الله فإن الصراط المستقيم كتاب الله)).[4]

---

[1] **آل عمران:١٠٣.**

[2] **ظ:مجمع البيان: الطبرسي،٣٥٥/٢ ، الأمثل: الشيرازي،٦١٩/٢.**

[3] **الأمالي:الطوسي،٢٧٢ ، مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب،٢٧٣/٢.**

[4] **المعجم الكبير:الطبراني،٢١٢/٩ ، الاستذكار: ابن عبد البر، ٥٧٧/٨.**

وعن السجاد قال: الإمام منا لا يكون إلا معصوما وليست العصمة في ظـــاهر الخلقـــة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصاً فقيل له يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما معنى المعصوم، فقال: هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن، والقرآن يهـــدي الـــى الإمام وذلك قول الله (عز وجل) أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)).[١]

ومعنى (اعتصموا) أي امتنعوا بحبل الله تعالى واستمسكوا بعهد الله سبحانه، و(حبل الله) فيه قولان:[٢]

- أنه كتاب الله.[٣]
- دين الله أي دين الإسلام.
- أنهم أهل البيت (عليهم السلام).

فليس هناك أي اختلاف بين هذه الأقوال؛ لأن الحبل الإلهي يراد منه وسيلة للارتباط بالله تعالى سواء كانت هذه الوسيلة الإسلام أم القرآن أم أهل البيت (عليهم السلام).[٤]

وقوله:(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عـــذاب الله، فقيل أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.[٥] ومعنى (حـــق تقاتـــه) فيـــه وجوه:[٦]

- إن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا كفر، ويذكر فلا ينسى.
- اتقاء جميع معاصيه.

---

[١] التفسير الصافي: الفيض الكاشاني،١/٣٦٥.
[٢] ظ: التبيان: الطوسي،٢/٥٤٥.
[٣] ظ:الميزان:الطباطبائي،٣/٣٦٩.
[٤] ظ:الأمثل: الشيرازي،٢/٦٢٢.
[٥] التغابن:١٦.
[٦] ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٢/٣٥٥-٣٥٦.

- المجاهدة في الله تعالى، ولا تأخذه فه لومة لائم.

التعقيب:

تركز الآية الاهتمام على معالجة جذور الاختلاف، فالقرآن خاطب المؤمنين، باجتناب كل إثم ومعصية، كما عقّب الدعوة ببيان الطريقة التي يجتنبون بها المعاصي.

وهو التمسك بحبل الله تعالى، فعبر الله عن الطريق المؤدي الى النجاة بالحبل، وكأنه أراد أن يصور لنا حال الدنيا، بأنها عبارة عن مستنقع، أو بئر أو ما شابه، ولا يعرف الإنسان الخروج منه. وعندما يراد إنقاذه يمد له الحبل ويخرج للأمان.

فالخطاب الذي جاء به القرآن الكريم، كان حث الناس على معرفة الطريق الصحيح ، وإن قدرة الله تعالى ستنجيه من أي سوء ومعصية.

الأهمية الرابعة: التحذير من إفشاء السر والحفاظ عليه

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .[1]

سبب النزول:

قيل أنها نزلت في قوم من المسلمين، عندما أقدم بعضهم على ذكر أسرار المسلمين عند اليهود والمنافقين، لما كان بين هؤلاء المسلمين واليهود من الصداقة أو الجوار أو الحلف،

---

[1] آل عمران:١١٨.

فكان اليهود يتظاهرون بالمودة للمسلمين، وفي الحقيقة هم ألد أعداء الإسلام في باطنهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية، إذ نهاهم من جعل غير المؤمنين خاصة لهم.[١]

البيان:

(من) في قوله (من دونكم) تحمل وجهان:[٢]

- للتبعيض: والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانة.
- لتبين الصفة: لا تتخذوا بطانة من المشركين.

(لا يألونكم خبالا) أي لا يقصرون في أمركم خبالا.[٣]

فالآية تشير الى قضية مهمة، كتمان السر وعدم اطلاع أحد عليه، فالصداقات والعلاقات ليست قادرة على كتمان السرّ أن كان الاشخاص ليس من المؤمنين وأولياء الله تعالى.[٤]

التعقيب:

في الآية الكريمة كان الخطاب موجهاً للمؤمنين، إذ تعمق الباري ليربي النفس المؤمنة على أتم وجه، وكانت الغاية منه بناء شخصية المؤمنين، وسد الثغرات التي تكون منفذ عليه لتزيد الأمور سوءاً.

فأوصى المؤمن وهو الذي يؤمن بالله تعالى، وكانت بداية لطيفة ترفع من شخصية الذي وجه له النداء، يا من تؤمن بالله رباً ومعيناً وسنداً. لا تَبُح أسرارك الى الدوني، فأن كانت

---

[١] **ظ: التبيان:الطوسي،٢/٥٧٠ ، الأمثل: الشيرازي،٢/٦٦٠.**

[٢] **ظ:التبيان:الطوسي،٢/٥٧١.**

[٣] **ظ: م.ن،٢/٥٧١.**

[٤] **الألطاف الإلهية في الخطابات القرآنية: الشيخ الشبستري،٦٣.**

الآية نزلت في اليهود، إلا إن هذا لا يمنع من الأخذ بهذه الوصية، ولاسيما أن لفظ (دون) تدل على كل دوني، وهو الشخص الذي لا أخلاق له، ولا يؤمن منه.

فالآية بهذا القدر وافية البيان عظيمة البلاغة جزيلة الخطاب، بعدها أعقب لبيان السبب الذي من أجله منع إفشاء السر، فقال (لا يألونكم خبالا) أي أنه لا يقصرون في إفسادكم. والغاية من ذلك كله هو إدخال المشقة عليكم، في معاندتكم حتى الهلاك.

إذن للبيان والتعقيب في الخطاب الديني في القرآن الكريم، أهمية في بناء شخصية الفرد، والتي بها تكمن قوة المجتمع.

فالبيان والتعقيب في الخطاب الديني له أهمية بالغة في التوجيه وبناء الشخصية الذاتية والحفاظ على النفس من الوقوع في الأخطاء، وإن كانت الآيات له سبب في النزول، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالآية التي يتوجه بها الله سبحانه في مخاطبة شخصية ما، تمكننا من الاستفادة منها في حياتنا اليومية.

فالخطاب يؤثر في النفس وله دور بالغ في التوجيه. وفي رسم صورة الطريق المنجي في الحياتين، وحتى الذي لا يؤمن بالآخرة لو أخذ بالنصح التي يوجها الخطاب القرآني كان له نصيب في النجاة الدنيا.

الأهمية الخامسة: التشريع

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[1]

البيان:

خاطب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنون، وفي الخطاب نهي عن فعل من أفعال الجاهلية، فالدين الجديد لا يجوز لكم أن تنكحوا النساء على كره منهن، وذلك طمعا في ميراثهن، كما لا يجوز لكم أن تسيئوا صحبتهن، لدفعهن على افتداء أنفسهن، ولا تمنعوهن عن النكاح.[2]

فالآية في مقام الردع عن إرث النساء لكرهه. كما أنها تنهي عن وراثة أموال النساء كرها منهم من دون وراثة أنفسهن، وإضافة الإرث الى النساء إنما بتقدير الأموال أو يكون مجازاً عقلياً.[3]

التعقيب:

في الآية الكريمة خطاب للمؤمنين وفيه تشريع من الله تعالى، إذ يوصي بحسن المعاملة مع النساء، وبعد البيان عقّب فقال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا

---

[1] **النساء:١٩.**

[2] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٣/٤٧.**

[3] **ظ:الميزان: الطباطبائي، ٤/٢٥٤.**

وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ فكانت الغاية من التعقيب زيادة في الحرص على حسن المعاملة مع هذا الكائن الرقيق، وترغيب فيما يخبئه القدر، من تغيير الحال، كما أن التعقيب لا يريد للرجل أن يجعل من مشاعره حاكم لحياته فيما يحب فيأنس، وأن كره يظلم. فالبيان والتعقيب في الخطاب الذي جاء في هذه الآية الكريمة قد شرع حكماً رفع فيه الظلم عن المرأة؛ لأن الشخص أن كان ظالماً فأنه سيظلم نفسه أولاً، وظالم لغيره.

المبحث: الثاني: الأهمية الإعجازية

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز

أولاً: الإعجاز لغةً واصطلاحاً

الإعجاز لغةً:

ذكرت المعجمات عدة تعريفات للإعجاز:[1]

١. التقصير والضعّف :

فعجز عن الأمر إذا قصر عنه، والعاجز هو الضعيف.

٢. التثبيط :

ذكر علماء اللغة في مصدر عجّز ــ بتضعيف الجيم ــ تعجيزا ، قالوا : التعجيز التثبيط ، ومعناه الانشغال عن الأمر أيضا (ثبطه عن الأمر تثبيطا شغله عنه).

---

[1] **ظ:لسان العرب:ابن منظور،٣٧٠/٥ ، القاموس المحيط:الفيروز آبادي،١٨٢/٢ ، تاج العروس: الزبيدي،٩٦/٨.**

٣. الفوت والسّبق :

الإعجاز مصدر (أعجز) ويعني الفوت والسبق ، فتقول أعجزني فلان أي فاتني.

الإعجاز اصطلاحاً:

معنى الإعجاز هو:(أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله).[١]

وعرفه السيد الخوئي (ت:١٤١١هـ) قائلاً:((إن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق النواميس الطبيعية، ويعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه)).[٢]

يتبين لنا من خلال التعريفين معنى الإعجاز، وهو أن الله سبحانه يختار شخصاً من الناس فيودعه سرا لا يستطيع غيره أن يأتي بمثله فيكون ذلك شهادة على صدق ما يدعيه من النبوة والرسالة.

والمعجزة في الاصطلاح :

هو (أمر خارق للعادة ، ومقرون بالتحدي سالم عن المعارضة).[٣]

وعرف السيد الخميني (ت:١٣٩٨هـ) المعجزة بأنها:((الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل)).[٤]

والفرق بين الإعجاز والمعجزة يمكن أن نستخلصها من خلال ما مر: المعجزة هي الدليل الذي يبرهن من خلاله النبي أو الرسول صحة ما جاء فيه فلا يستطيع غيره أن يأتي بمثل هذا الأمر وما يقوم به النبي من أفعال معجزة وما يقدم من معجزات يسمى ذلك إعجاز.

---

[١] مناهل العرفان:الزرقاني،١/٦٦.

[٢] البيان: الخوئي،٣٥.

[٣] الإتقان:السيوطي،٣/٣٠٣.

[٤] تفسير القرآن:السيد الخميني،١/٧٣.

ثانياً:وجوه الإعجاز

- **الصرفة :**

ينسب القول بالصرفة الى ابن السيار النظام (ت:٢٢١هـ) على أنه أول من قال بـه. وأيد هذا الرأي الشيخ المفيد (ت :٤١٣هـ). ومعناه أن الله سبحانه صرف العرب عن معارضة القرآن الكريم وكان مقدورا لهم. إلا أن هذا الرأي رد عليه جملة من علماء المسلمين.[١]

نورد منها ما يلي : ــ

أ- الخطابي (ت : ٣٨٨ هـ) قال عن الإعجاز بأنه:(أمر طريقه التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد. والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلاءم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها).[٢]

ب- الجرجاني (ت:٤٧١هـ) كان ردّه على الصرفة قائلاً:((اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأ على توهم).[٣]

ت- السيوطي (ت:٩١١هـ):((هذا قول فاسد بدليل قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾.[١] فأنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم).[٢]

---

[١] **ظ:أوائل المقالات: الشيخ المفيد،١٦٦-١٦٧ ، البرهان: الزركشي،٦١/٤ ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن:د.نصر حامد،١٤٥-١٤٧.**

[٢] **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: بيان في إعجاز القرآن:الخطابي،٢٣.**

[٣] **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: دلائل الإعجاز: الجرجاني،١٣٦.**

وبذلك لا يمكن القول بأن القرآن الكريم معجز بالصرفة أو أن الصرفة وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ لأن في ذلك سلب لبلاغة القرآن الكريم وبيان معاجزه الأخرى التي جعلت الإنس والجن عاجزين عن الإتيان بأية من مثله.

- **الإعجاز العلمي:**

يرى بعض العلماء أن وجه الإعجاز في القرآن علمي وهو على فرعين :

١ ــ الإعجاز التاريخي الغيبي

٢ ــ الإعجاز في مجال الكشوف العلمية

١ ــ الإعجاز التاريخي الغيبي

زعم قوم أن إعجاز القرآن فيما يتضمنه من أخبار ماضية، وتنبؤات مستقبلة أثبت الواقع صحتها. وممن قال بهذا الرأي أبو بكر الباقلاني، والرماني.[٣]

وقد ذكروا أمثلة على ذلك كالإخبار بانتصار الروم على أعدائهم، فقال تعالى: ﴿ الم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.[٤]

هذا ما زعمه طائفة. ولكن هذا ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن.[٥]

---

[١] **الإسراء:٨٨.**

[٢] **الإتقان:السيوطي،٤/٣٠٦.**

[٣] **ظ: المدرسة القرآنية: السيد الصدر،٢٨٥.**

[٤] **الروم:١-٤.**

[٥] **ظ:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:بيان إعجاز القرآن، الخطابي،٢٦-٢٧ ، الإتقان:السيوطي،٤/٣٠٦.**

٢ ــ الإعجاز في مجال الكشوف العلمية:[١]

إن وجه من أوجه الإعجاز القرآني يرجع الى الإشارات العلمية التي فيه. فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.[٢]

فالنظرية (السديمية) أشارة إليها هذه الآية؛ لأنها أبانت أنّ السماء قبل تكوينها كانت دخانا. وخلاصة النظرية ((إن المنظومة الشمسية نشأت من السديم، أي من مادة غازية ملتهبة، وتجمّدت وأفلتت من جرمها الكبير أجزاء كثيرة تفرقت فدارت حول نفسها وحول الجرم الكبير بفعل الجاذبية والحركة المركزية)).[٣]

- **وجه البلاغة والبيان :**

قال بهذا الوجه كثير من العلماء ومنهم:

١ ــ قول الخطابي (ت:٣٨٨هـ):((واعلم أن القرآن إنما صار معجزا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني)).[٤]

٢ ــ قول الزركشي (ت:٧٤٩هـ):((إن وجه الإعجاز راجع الى التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف، وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى)).[١]

---

[١] **ظ: خصائص التعبير:د.عبد العظيم إبراهيم،١٣٢/١ ، آلاء الرحمن: البلاغي،١٢.**

[٢] **فصلت:١١-١٢.**

[٣] **خصائص التعبير القرآني:د.عبد العظيم إبراهيم،١٣٢/١.**

[٤] **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:بيان إعجاز القرآن:الخطابي،٢٧.**

٣ ــ القاضي الباقلاني (ت:٤٠٣هـ) عنده وجه الإعجاز هو اجتماع الفصاحة مع الأسلوب.[٢]

وتظهر وجوه إعجاز القرآن عند الرماني (ت:٣٨٤هـ) من سبع جهات:((ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة)).[٣]

والرأي المرجح في إعجاز القرآن هو ما قاله د. رشاد محمد سالم:((سيبقى سر إعجاز القرآن محاطاً بما يشبه الهالة القوية الكثيفة،... ذلك أن أمر الإعجاز لا يمكن أن تحيط به أنظار الناظرين مهما كثرت، ولا أن تحده مقولات القائلين وأن تجاوزت الحصر والعدد)).[٤] واستدل بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾.[٥]

---

[١] البرهان:الزركشي،٢/٦٢.

[٢] ظ: بحوث في تاريخ القرآن و علومه: السيد مير محمدي زرندي،٣٩٣.

[٣] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: النكت في إعجاز القرآن:الرماني،٧٥.

[٤] مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي:د.رشاد محمد،٢٦.

[٥] الكهف:١٠٩.

المطلب الثاني: البيان والتعقيب في الأهمية الإعجازية:

نزل القرآن بوصفه معجزة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) التي عجز العرب عن الإتيان بمثله، وهو من صنف ما يتكلمون ورغم التحدي الذي وجهه القرآن الكريم لهم بأن يأتوا ولو بعشر سور مثله، لكنهم لم يستطيعوا رغم محاولاتهم.

الأهمية الأولى: قدرة الله سبحانه في قلب الكون

قال تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ

سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾.[1]

البيان:

في الآية أثنتا عشر خصلة، ست منها في الدنيا وست في الآخرة. والسورة عبرت عن مرحلتين يمر بها الكون، المرحلة الأولى، هي مرحلة الفناء العام، وبعدها تأتي مرحلة الظهور الجديد للعالم.[2]

(إذا الشمس كورت) اللفظ وأن كان ماضيا، ولكن يراد بها الاستقبال؛ لأن إخبار الله تعالى بشيء، فأنه واقع. والفعل الماضي يكون بمعنى المستقبل في الشرط والجزاء، وفي أفعال الله سبحانه وفي تكرار الدعاء، نحو: حفظك الله وأطال بقاءك. وفي يوم القيامة سوف يُلف ضياء الشمس، أوأنها تُرفع وتستر.[3]

ولهول ذلك اليوم، سيصل بهم الحال الى أنهم ينشغلون بأنفسهم ويهملون العشار التي طالما كانوا ينتظرونها،[4] ويقول صاحب الميزان:((الإبل تتعطل إذا مات الخلق فلا يكون من يحلبها))،[5] لكن في كلام السيد وقفة، وهو أن يوم القيامة ستفنى جميع المخلوقات ومن ضمنها

---

[1] **التكوير: ١-١٤.**

[2] **ظ:الأمثل:الشيرازي،١٩/٤٥٣.**

[3] **ظ:التبيان:الطوسي،١٠/٢٨٠ ، الكشاف: الزمخشري،٤/٢٢١-٢٢٣ ، تفسير جوامع البيان:الطبرسي،٣/٧٣٤.**

[4] **ظ:التبيان:الطوسي،١٠/٢٨١-٢٨٢ ، الكشاف: الزمخشري،٤/٢٢١.**

[5] **الميزان:الطباطبائي،٢٠/٢١٥.**

الإبل، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.[1] وعليه يكون سبب تعطيل العشار؛ لانشغال الناس في ذلك هول اليوم، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.[2]

كما أن الأمور ستتغير في ذلك، فحتى الوحوش التي تشرد في البلاد تجتمع مع الناس، وسوف تمتلئ البحار بالنار. وتضم كل نفس الى شكله. أما سؤال الموؤدة فهو لتوبيخ قاتلها؛ لأنه أبلغ من أن يوجه السؤال له. وهو نضير سؤال الله عز وجل لعسى (عليه السلام)،[3] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.[4]

---

[1] الرحمن: ٢٦-٢٧.

[2] الحج: ٢.

[3] ظ: التبيان: الطوسي، ١٠/٢٨١-٢٨٢ ، الكشاف: الزمخشري، ٤/٢٢١ ، جوامع الجامع: الطبرسي، ٣/٧٣٥.

[4] المائدة: ١١٦.

(وإذا البحار سجرت) يقول الشيرازي:((سجرت: بمعنى امتلأت،... امتلاء البحار مما سيتسبب من الزلازل الحادثة وتدمير الجبال في إرهاصات يوم القيامة، أو ستمتلئ بما يتساقط من أحجار وصخور سماوية، فيفيض ماؤها على اليابسة ليغرق كل شيء)).[1]

وبعدها سوف يبدأ يوم الفصل ((فتبدأ المألفة بخلاف حال الدنيا فالصالحون مع الصالحين، والمسيئون مع المسيئين)).[2] واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.[3] كما أنه سوف ترفع الحجب الفاصلة بين العالمين الدنيوي والعلوي.[4]

التعقيب:

سورة التكوير من السور التي تحدث الله (جل وعلا) بها عن يوم القيامة. والآيات تخبرنا عمّا سيحصل في آخر العالم، أي كيف يفني (عز وجل) هذا العالم.

فالآية تشير الى أن نهاية العالم يليه مباشرة يوم القيامة وبلا تأني، بدليل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ

---

[1] **الأمثل:الشيرازي،١٩/٤٤٨.**

[2] **م.ن،١٩/٤٤٩.**

[3] **الواقعة:٧-١١.**

[4] **ظ:الأمثل:الشيرازي،١٩/٤٥٤.**

بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.[1] ولكن هذه الحوادث أما أن تكون متتالية في الحدوث، أو تأتي معا؛ لأن من دلالات الواو العاطفة، هو عطف اللاحق على السابق، أو التأني للمصاحبة.[2]

فالآية في غاية الإعجاز إذ تبين لنا أن الشمس أساس الحياة، وذلك بنورها تستضيء النجوم، وهي سبب هطول الأمطار. إذ من حراتها تتكون الغيوم. نتيجة سقوط أشعة الشمس على البحر، يؤدي الى ارتفاع درجة حرارة الماء، فيرتفع البخار على شكل غازات ويتكتل مكون الغيوم المحملة بالأمطار، وعند برود الجوفي فصل الشتاء، سوف يتحول البخار من الحالة الغازية الى الحالة السائلة، مسبب هطول الأمطار.

إذ عندما تكور الشمس ضوءها سوف تتكدر وتسود النجوم. فالآية تبين لنا علاقة الشمس بالغيوم في تأسيس الحياة. وعلى رأي من قال أن العشار هي الإبل، فأن مغيب الشمس سوف تنعدم الحياة؛ لأن النبات ينموا فحتى الإبل المعروفة في قدرتها على تحمل قسوت الحياة سوف تعطل.

فالآية بينت إعجاز الله تعالى وارتباط الكون بعضه ببعض، فالنجوم المضيئة سوف تسود، وذلك نتيجة لغياب ضوء الشمس. فحرف العطف بين لنا الارتباط بين النجوم والشمس، ومن خلاله بين لنا قدرة الله في تغير الكون وتبديل الأحوال.

الأهمية الثانية: إعجازه في الملك

---

[1] القيامة:٦-١٣.

[2] مغني اللبيب:ابن هشام،٢/٣٥٤.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.[1]

سبب النزول:

قال ابن حجر العسقلاني (ت:٢٣٨هـ) في سبب نزول الآية :((قالت بنو إسرائيل لموسى هل ينام ربك ... فأوحى الله إليه أن بني إسرائيل سألوك أينام ربك فخذ زجاجتين فضعهما على كفيك ثم قم الليل قال ففعل موسى ذلك ... فلما أدبر الليل نعس أيضا فوقع لركبته فسقطت الزجاجتان فانكسرتا فأوحى الله لو كنت أنام لسقطت السماوات على الأرض ولهلك كل شيء كما هلك هاتان)).[2]

البيان:

(لا تأخذه سنة ولا نوم) توكيد للقيوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما، ودلالته أن الله تعالى لا يغفل عن تدبير أمر الخلق.[3] وعندما أعقب بذكر النوم بعد السنة؛ لأن نفي السنة لا ينفي النوم، فقد يرد النوم من دون النعاس، فإذا ورد على القلب والعين دفعة واحدة يقال له نوم، ولا يقال له سنة. كما أنه كرر حرف النفي لتنصيص على شمول النفي

---

[1] **البقرة:٢٥٥.**

[2] **العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر العسقلاني،٦٠٨/١.**

[3] **ظ:مجمع البيان: الطريحي،٥٠٢/٤، لسان العرب: ابن منظور،٤٤٩/١٣.**

لكل واحد منهما. كما أن جملة (لا تأخذه سنة ولا نوم)، تأكيد لصفة القيوم التي يوصف بها الله.[١]

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) فهو استفهام إنكار على من يزعم أن واحد من عباده يقدر على أن ينفع الآخر بشفاعة أو غيرها.[٢]

التعقيب:

عقّب الله تعالى في آية الكرسي عدد من الصفات التي يتصف بها (عز وجل)، الواحدة بعد الأخرى، كما أنه (عز وجل) عندما ذكر صفاته لم يأتِ بالواو؛ لأن من دلالات الواو الجمع المطلق.[٣]

فالبيان والتعقيب في آية الكرسي يبين كيف يعجز الله تعالى خلقه في أدارة الكون وعدم قدرتهم في امتلاكه. فالصفات مجتمعات في ذاته في آن واحد؛ لأنه لو جمعها بالواو. لاحتمل أن يكون أن الصفات ليست من أصل الوجود، فقد يحتمل أن تكون أحداها متقدمة عن الأخرى؛ لأن العطف بالواو يدل على الجمع من دون بيان الأسبقية، كما أنه يقتضي المغايرة.

الأهمية الثالثة: إعجازه سبحانه في الخلق من العدم

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.[١]

---

[١] ظ:فتح القدير:الشوكاني،١/٢٧١-٢٧٢ ، الأمثل:الشيرازي،٢/٢٤٦.

[٢] ظ:فتح القدير:الشوكاني،١/٢٧٢.

[٣] ظ:شرح ابن عقيل: ابن عقيل،٢/٢٠٨.

البيان:

المراد بالإنسان النوع، الذي ينتهي الخلق إليه وهو آدم (عليه السلام)، بدليل الآية التي تليها إذ قال:(ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين). ثم جعل نسله من سلالة وهو الصفوة من الطعام والشراب (من ماء مهين) أي الماء الضعيف، وهو على وزن فعيل، من المهنة، ثم عدله ورتب جوارحه، ونفخ فيه من روحه.[٢]

التعقيب:

فمن يريد أن يدبر أمور السماء والأرض، وأن يكون حاكماً عليها، يجب أن يكون مطلعاً على كل شيء، ويجب أن يكون قوياً عزيزا يقترن باللطف والرحمة.[٣]

إذن الآية الكريمة تبين لنا أن مهمة أخرى من مهمات البيان والتعقيب في الإعجاز الإلهي. فذكر في أول الآية أنه خلق كل شيء وعلى أحسن خلقة. وعقّب في بيان الكيفية التي خلق منها هذا الخلق الحسن، إذ خلق أول الخلق من طين. إذ أراد الله تعالى أن يبين قدرته العظيمة أنه خلق الإنسان الأول من طين، وكان هذا المخلوق في أحسن صورة. ثم عقّب في الآية التالية، يبين كيف جعل الله سبحانه الاستمرارية في خلقه. فأي قدرة تبين لنا هذه الآية من خلال أسلوب البيان والتعقيب.

الأهمية الرابعة: الإعجاز البياني في التناسب الإيقاعي

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.[٤]

---

[١] **السجدة:٧-٩.**

[٢] **ظ:تفسير القمي: القمي،١٦٨/٢، التبيان: الطوسي،٢٩٧/٨، الميزان: الطباطبائي،٢٥٠/١٦.**

[٣] **ظ:الأمثل: الشيرازي،١٠٤/١٣.**

[٤] **الرحمن: ١-٥.**

سبب النزول:

نزلت الآية الكريمة جواباً لسؤال الكافرين، إذ كان يقال لهم أسجدوا للرحمن يقولوا وما الرحمن؟ فأجابهم الله تعالى،[1] قائلا: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

البيان:

قيل: أن معنى الآية هو تذكير بالنعمة؛ لأنه عُلم من حكم القرآن التي يحتاج إليها الناس في دينهم ليؤدوا ما وجب عليهم. وأوجد الإنسان من العدم، وميزه عن سائر المخلوقات. وعندما جاء ذكر الإنسان بعد كلمة خلق، تفخيماً لخق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته.[2]

التعقيب:

ذكر الله تعالى في بداية سورة الرحمن اسم من أسماءه الحسنى، وهو الرحمن، ومعناه الإحسان، ومعناه لا يصح إلا له تعالى إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، ومنه أشتق لفظ الرحم، إذ هو نعمة الله تعالى للمخلوقات، والرحيم من الرحمن، وتستعمل في غيره وهو كثرة رحمته.[3] فهذا بيان واضح لصفة الله تعالى. بعدها عقّب الله تعالى بآية قائلا: علم القرآن. فالعلم: هو أدراك الشيء بحقيقته.[4] والقرآن: هو اسم كتاب الإسلام الذي نزل على قلب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).[5] فعن الرضا (عليه السلام) قال: الله تعالى علم محمدا

---

[1] **تفسير القمي: القمي،٢/١١٥.**

[2] **ظ:التبيان: الطوسي،٩/٤٦٣، الكشاف:الزمخشري،٤/٢٧٠.**

[3] **ظ:مفردات غريب القرآن: الأصفهاني،١٨٤.**

[4] **ظ:م.ن:٣٤٣.**

[5] **ظ:مباحث في علوم القرآن:د.صبحي الصالح،١٧-٢٠.**

(صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن، وخلق الإنسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلمه تبيان كل شيء أحتاج الناس إليه.[1]

وكان هذا التعقيب يبين نعمة الله تعالى التي كانت رحمة واسعة لكل المخلوقات، ومن ضمنهم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكن زادت رحمة الله تعالى لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أُدرك العلم القرآن الكريم بحقيقته. فالتعقيب له جانبين، إذ بين زيادة الرحمة التي حصل عليها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وجمالية التنغيم القرآني.

كما أنه تعالى عقّب بلفظ الإنسان، بعد كلمة خلق، وذلك تفخيماً لشأن الإنسان. وهي زيادة في النعمة. وجاز أن تأت لفظة خلق فقط، يعّده خالق كل شيء. فناسب بهذا التعقيب، التعقيب الأول، فكون التعقيب تناسباً بيانياً وإيقاعاً ونغم قرآني. أضفى جمالاً رناناً، للإعجاز القرآني.

الأهمية الخامسة: الإعجاز الغيبي

قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.[2]

سبب النزول:

نزلت الآية بعدما هاجر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة، وكتبَ الى ملك الروم وملك الفرس، يدعوهم الى الإسلام، فكان جواب ملك الروم تعظيماً لكتاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما ملك الفرس فأستخف بالدعوة، وكان الملكان في وقتها يتقاتلان، فكان المسلمون يهوون أن تكون الغلبة لملك الروم، فلما غلب ملك فارس بكى لذلك

---

[1] **ظ:تفسير القمي: القمي،٢/٣٤٣.**

[2] **الروم:٢-٤.**

المسلمون واغتموا، فأنزل الله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾، وبعدها أخبر عما سيحدث مستقبلاً، إذ سيغلب الفارس بعد أن غلبوا.[١]

وجاء أن المشركين كانوا يودون لو يغلب فارس، فوصل الخبر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أما إنهم سيهزمون، ووضعوا بينهم أجلاً، مقداره دون العشر.[٢]

البيان:

غلبت فارس الروم في أرض الشامات، وبعد بضع سنين سيغلب المسلمون فارس، وغلب المسلمون فارس في خلافة عمر،[٣] ويرى القرطبي (ت:٦٧١هـ) أن هذه الآية من أخبار الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، وأوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه.[٤]

التعقيب:

عندما علم المسلمون من هو الغالب والمغلوب في المعركة التي دارت بين فارس والروم، عقب مخبراً عمّا سيحدث مستقبلاً، إذ سيُغلب من بعد ما غلب، ويعد هذا من الإعجاز الغيبي، وعقّب بعدها قائلاً: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فالتعقيب يبشر بأن نهاية ملك فارس ستكون على أيديهم؛ لأنه أخبر أنه الأمر الأول والأخير لله تعالى، وهم من أتباع الله تعالى، وعندما يكون الأمر لله تعالى سيفرح المؤمنون، فالتعقيب في الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، بين ما تأول إليه الأمور مستقبلاً. إذ البيان وضح الأحداث الآنية،

---

[١] **ظ:تفسير القمي: القمي، ١٥٢/٢.**

[٢] **ظ:جامع البيان:الطبري، ٢١/٢١-٢٢.**

[٣] **ظ:تفسير الصافي:الكاشاني، ١٢٦/٤.**

[٤] **ظ:تفسير القرطبي: القرطبي، ٧٥/١.**

وجاء بعده التعقيب يخبر عن الغيب الذي يبشر، لمن حزن لما ألت إليه الأحداث، فالبيان والتعقيب في الإعجاز الغيبي القرآني ينبهنا الى أن كل حادث يحمل وراءه أمور لا ندركها، فلا نحزن لأمر نخسره؛ لأنه قد تكون وراء ذلك مصلحة، كما لا نفرح عند حصولنا على شيء، قد يجلب لنا المتاعب. وهو ما تشير إليه الآية الكريمة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[1]

فالآية نزلت في أول الهجرة، ودلالة البضع تدل على أقل من عشر سنين، والبعد الزمني بين أول الهجرة وخلافة عمر أكثر من عشرة سنين، لكن الآية جاء فيها تعقّيب ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾، يظهر أن أمر النصر يأتي بأمر الله تعالى.

---

[1] البقرة:٢١٦.

الفصل الثاني: البيان والتعقيب في أساليب الحوار والاستفهام في النص القرآني

المبحث الأول: البيان والتعقيب في الحوار القرآني

المطلب الأول:مفهوم الحوار

المطلب الثاني: عناصر الحوار وأهدافه

المطلب الثالث: الحوار الإسلامي وأسسه

المطلب الرابع:المنهج القرآني للحوار

المبحث الثاني: البيان والتعقيب في أسلوب الاستفهام

المطلب الأول:مفهوم الاستفهام

المطلب الثاني: أدوات الاستفهام

المطلب الثالث: فوائد الاستفهام

المطلب الرابع: أقسام الاستفهام

المبحث الأول: البيان والتعقيب في الحوار القرآني

المطلب الأول:مفهوم الحوار

المطلب الثاني: عناصر الحوار وأهدافه

المطلب الثالث: الحوار الإسلامي وأسسه

المطلب الرابع:المنهج القرآني للحوار

المبحث الأول: البيان والتعقيب في الحوار القرآني

المطلب الأول: مفهوم الحوار

أولاً: الحوار لغةً:

أصله من الحور، وهو الرجوع الى الشيء وعنه، والمحاورة مراجعة الكلام.[١] يقول ابن دريد (ت:٣٢١هـ):((المحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب)).[٢] وقال ابن منظور (ت: ٧١١هـ):((أصل الحور: الرجوع الى النقص ... والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)).[٣]

بما أن الحوار صيغة مبالغة تدل على كثرة الحور، أي كثرة الرجوع الى الشيء وعنه. إذن الحوار في اللغة: هو كثرة التجاوب والمجاوبة في الرجوع لنقطة يرتكز عليها الكلام.

وإذ نتتبع مفردة الحوار نجد أن لها وروداً في النص القرآني فكلمة يحاور وردت (مرتين)، في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ

---

[١] ظ:كتاب العين:الفراهيدي،٣/٢٨٧.

[٢] جمهرة اللغة:ابن دريد،٢/١٤٦.

[٣] لسان العرب:ابن منظور،٤/٢١٨.

[٤] الكهف:٣٤.

رَجُلاً ﴾.[1] وكلمة (تحاور) جاءت في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.[2]

ثانياً:الحوار اصطلاحاً:

رؤية المشتغلين للحوار لم تكن بعيدة في توجيهه وتعريفه عن المعنى اللغوي، إلا أنها أضافت إليه شيئاً من المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توافرها في الحوار. فالحور: التردد في الذات أو الفكر، والمحاورة والحوار المرادة في الكلام،[3] نحو قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾.[4]

ويقول الدكتور صالح بن حميد في تعريف الحوار أنه:((المناقشة بين طرفين أو أطراف، قصد بها تصحيح كلامٍ ، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي)).[5]، فالحوار هنا المشاركة مع الآخر لبيان شيء أو الوصول الى نتيجة ما.

وفيما انطلق الدكتور شوقي ضيف في توجيه الحوار من خلال الجملة الحوارية، أي: مراعاة الجانب التركيبي، فيقول: ((الجملة الحوارية هي الجملة المجاب بها في حوار قصصي

---

[1] الكهف:٣٧.

[2] المجادلة:١.

[3] ظ:مفردات غريب القرآن:الأصفهاني،١٣٤.

[4] المجادلة:١.

[5] نقلاً عن الحوار مع أتباع الأديان:د.منقذ بن محمود السقار،٢.

أوالمراد بها على استفهام في كلام مفصل)).[1] وكلمة استفهام هنا تلتقي مع مَن بغيتُه الانتهاء الى حل مشكل أثار استفهاماً.

ونلحظ هنا أيضا محاولة التوقف عند الحوار بما يخدم المعاني التركيبية، والحوار على ذلك هو تبادل الكلام بين شخصين أو جماعتين. وذلك يتطلب النظر في الشخوص، الأمر الذي يدعو أيضا الى التوقف عند النص نفسه، وهذا يدخلنا في مجالات أسباب المحاورات وأهدافها وعللها وفلسفتها وأسسها.

فتمحور النص هو استدارته حول محور الانطلاق أي (المشكل) بين هؤلاء المتحاورين، ومن ثم يتطلب الوقوف على نتائج ذلك الحوار سواء كانت إيجابية أم سلبية.

ومن المعلوم أن الحوار يكتسب أهميته وتتضح ضرورته من خلال التنوع الذي اتسم به الخلق، هذا التنوع الذي أدى بالاشتراك مع عوامل أخرى إلى اختلاف بالثقافات. و هو أمر الذي يؤدي الى ضرورة صنع نقطة ارتكاز تكون منطلقاً لخطاب بأسلوب حضاري ينسجم مع طبيعة الحياة ومتغيراتها، و يعمل أيضاً على تدارك الصراعات التي كان ممكن لها أن تتوافر في ذلك الخطاب الحضاري.[2]

ولا ريب أن الحوار لا يمكن أن يتصف بالمصداقية إذا لم يتصف بعدة صفات، يمكننا ذكر أبرزها وهي العدل والتسامح ورؤية الآخر والاعتراف به والعمل على إظهار حقوق الآخرين وحرياتهم، بغض النظر من اختلاف وجهات النظر فيما بينهم. ومن جهة أخرى يستند الحوار الإنساني بكل أشكاله على الثقة وعرض الاتجاهات والمبادئ، استناداً الى التسامح المبني على التعايش المشروط بالاعتراف بالآخر والعدل وغيرها من الأمور.

---

[1] نقلاً عن الحوار في القرآن آدابه و فضائله:خليل إبراهيم فرج،٨.

[2] ظ:الحوار في القران :خليل إبراهيم،٥.

ومن هنا يمكن الإشارة الى أن ميدان الحوار واسع، وقد لاحظ البحث ذلك من خلال كتابات العلماء في هذا المضمار وقد تطرقوا إلى هذا بالقول:((هناك حوار الحياة الذي يعني الاهتمام بالطرف الآخر، وهناك حوار العمل، الذي يعني تضافر الجهود لتحقيق كل ما هو صالح الإنسانية والصالح العام، وهناك حوار العقل والفكر والعقيدة، وهناك حوار التجارب وتبادل المعلومات)).[1]

[1] **الحوار مع الآخر: محمد التسخيري،١٢.**

المطلب الثاني:عناصر الحوار وأهدافه:

عناصر الحوار:

عندما نتتبع الفكر الإسلامي نجد أن عدة عناصر قد بلورها في الحوار وجعلها منطلقاً له، فمن ذلك: مراعاة شخصية طرفي الحوار وإيجاد الأجواء المناسبة له بغية التأمين للوصول الى الهدف المنشود، وذلك بنبذ التعصب والانفعال سواء كانت فكرة الطرف الآخر وموقفه مؤيدة أو معارضة، ومن عناصره أيضاً الإلمام بالموضوع الذي يجري فيه استيعاب الفكرة التي يحوم حولها ويجري فيها ومن هذه العناصر:

و عناصر الحوار اثنان، وهي المحاور أو ما يسمى أطراف الحوار، وموضوع الحوار:[١]

العنصر الأول:أطراف الحوار:

مهما كان نوع الحوار وفي أي موضوع من المفترض أن يؤخذ بالحساب مؤهلات شخصية المتحاورين ذاتياً وموضوعياً.[٢] فشروط أطراف الحوار جاءت في القرآن الكريم، ووضحها البيان والتعقيب، وهي كما في الأمثلة التالية:

١. على المحاور الالتزام السلوكي بالخلق السامي للفضائل الممدوحة، والتنازل من أجل المصلحة، فالطرف المبادر إلى الاعتراف بالخطأ أو التغاضي عن حقه من أجل تفادي وقوع مشكلة والخروج من الموقف من دون خسائر، فأنه سيجني ثمارها بتمجيد الآخرين والحصول على علاقات أكثر وأقوى.[٣]

---

[١] ظ:تجديد الخطاب الديني: علي طاهر، ١٥٧.

[٢] ظ:الحوار في القرآن الكريم آدابه و فضائله:خليل إبراهيم،٧.

[٣] ظ: مجتمع اللاعنف: السيد حسن بحر العلوم،٣٤٩.

فالمناظرة والمحاورة تحتاج الى الفرد الكفء، فلا بد أن يكون الشخص مطلعاً على موضوع المحاورة وأسلوبها وما يترتب عليها،[1] كما في قوله تعالى واصفاً خير محاور: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾.[2] وكان للبيان والتعقيب دور في بيان هذه الميزة كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.[3]

البيان:

هذه الآيات تبين كيفية ولادة المسيح عيسى بن مريم، إذ أرسل الله تعالى ملائكته لبشارة مريم العذراء (عليها السلام)، إذ سيكون لها ولد له مقام مرموق في الدنيا والآخرة، وهو مقرب عند الله تعالى، ويرجح الشيخ الطوسي السبب من وصف المسيح بالكلمة؛ ((لأنه كان بكلمة الله من غير والد وهو قوله (كن فيكون).))[4]

---

[1] **ظ: تجديد الخطاب الديني بين الحقيقة والأوهام: علي طاهر السلمان،١٥٦-١٥٧.**

[2] **آل عمران:١٥٩.**

[3] **آل عمران:٤٥-٤٧.**

[4] **التبيان:الطوسي،٢/٤٦١.**

وقال تعالى في الآية: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ﴾ . وهو على خلاف الآية التي بشرت زكريا بالولد، إذ قال تعالى فيها: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ﴾؛[1] ((لأن طريقة خلق زكريا كانت حسب القوانين الطبيعية، فجاء بلفظ يفعل، أما المسيح (عليه السلام) فكان خلقة من القوانين الخارقة، فجاء باللفظ المناسب له. كما أن الآية الكريمة أضافت في البيان، إذ كلام المسيح بالمهد، يؤكد طهارة والدته)).[2]

التعقيب:

جرى حوار بين السيدة مريم (عليها السلام) ورسل الله تعالى، فالطرف الذي ابتدأ الحوار هم رسل الله تعالى، إذ جاءوا بأمر غريب ويصعب على عذراء طاهرة القبول به. بدؤوا بذكر صفات المولود، مبينين محاسنه ومنزلته عند الله تعالى، وعقّب الصفات قائلا: ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فالصلاح من أعظم دواعي الفخر والاعتزاز، كما أنه تنظم إلية القيم الإنسانية المثلى.

فكان جوابها (عليها السلام) مباشرة لله تعالى، وهذا لا يقتضي أن يكون الله تعالى كلمها مباشرة، بل يشير الى أن السيدة مريم (عليها السلام) كانت تؤمن بالله تعالى، وتحس بالقرب منه في أي مكان، لذا كان جوابها مباشرة مع الذات المقدسة، وكان الجواب استفهام عن الكيفية، وهذا الاستفهام يدلي على أنها وافقت بهذا الأمر الإلهي الثقيل. فأجابوها عن هذا الاستفهام، بأن الكيفية التي يصنع الله تعالى فيها خلقه.

---

[1] **آل عمران: ٤٠.**

[2] **الأمثل: الشيرازي، ٢/٥٠١-٥٠٣.**

وبعد أن بين الله تعالى في الآيات ما دار في الحوار بين مريم (عليها السلام) والرسول، عقّب الله تعالى ببيان طريقة الخلق فقال: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. بعد إن بينها، والحقيقة أنما جاء التعقيب حتى يكون زيادة في الاطمئنان والوثوق بخالقها. وتبيان لكيفية خلق عيسى بالكلمة (كن).

فنلحظ من التعقيب والبيان في الحوار الذي دار بين السيدة مريم (عليها السلام) والملائكة، الالتزام السلوكي بالخلق السامي من كلا الطرفين، على الرغم من صعوبة الأمر الذي كلفت به الطاهرة (عليها السلام) إلا أنها لم ترفض ذلك؛ لأنها كانت متيقنة، أن الأمر صدر من طرف لا يريد الضرر بها، إذ جعل نجاتها شرطاً عليها قبل أن تتكلم هي، وهذا ما أشار إليه البيان عند وصف السيد المسيح. كما أن الله تعالى باعتباره الطرف الآمر في الحوار، وعلمه سبحانه بثقل الطلب على الطاهرة مريم (عليها السلام)، فجاء الحوار بأسلوب لائق يحمل في طياته عطاء كريم، إذ بعث روح الطمأنينة في داخلها. فكان كلا الطرف المتحاورين –مريم (عليها السلام) والملائكة–. يحملان قيم سلوكية أدت بنتيجة مرضية وصحيحة للحوار.

٢. الرغبة في الطرح:

في أي حوارٍ قد يكون أحد الأطراف مجبراً أو مضطرباً أو واقعاً تحت التهديد؛ فعندها نتيجة الحوار ستكون ليست ذات قيمة، الأمر الذي يؤدي الى الاضطهاد، وعدم الموضوعية في الطرح من طرف، و أطراف القوة من موقع آخر.[١]

---

[١] **ظ:الحوار في القرآن الكريم آدابه و فضائله: خليل إبراهيم،٧.**

وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفت ضد الرسالة والرسول، من دون أن يكون لها إحاطة أو معرفة فيما تأخذ وفيما تدع، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[2]

فقد نفهم من هذه الآيات، أن القرآن الكريم يأخذ على كل هؤلاء الذين يخاصمون النبوات والرسالات السماوية، أنهم يدخلون معركة الحوار، من دون سلاح؛ لأنهم لا يملكون علماً أو حجة، أو إحاطة بالموضوع الذي يرفضونه، الأمر الذي يجعل من جدالهم ورفضهم قضية مزاج، وعقدةً نفسية تتحكم بهم فتدفعهم الى اللف والدوران تارة، وإلى التكذيب بلا مسوغ تارة أخرى، الأمر الذي لا يؤدي الى أي نتيجة لحساب المعرفة.[3] ومثال هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.[4]

---

[1] **يونس: ٣٩.**

[2] **غافر: ٥٦.**

[3] **ظ: الحوار في القرآن الكريم: محمد حسين فضل الله، ٥٠.**

[4] **القصص: ٢٧-٢٨.**

البيان:

تحكي الآية حول الحوار الذي دار بين النبي شعيب وموسى (عليهما السلام)، فبدأ الحوار بعرض من النبي شعيب (عليه السلام) لموسى (عليه السلام)، بالزواج من أبنته مقابل الرعي في غنمه. وأجر الزواج يكون رعي ماشية شعيب (عله السلام) ثمان سنوات، وأن زادها موسى (عليه السلام) وجعلها تمام العشرة فهذه هبة من موسى (عليه السلام)، والنبي شعب (عليه السلام) لا يلزمه على إتمام العشر سنين.[1]

فرد عليه موسى (عليه السلام)، ((ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا تعدي علي؛ لأني مخير في ذلك. وجعل الله تعالى شاهداً على عقدهما الذي تعاقداه فيما بينهما)).[2]

التعقيب:

جاء بعد أن طلب من موسى (عليه السلام) أن يرعى غنمه ثماني سنوات، عقّب بعدها بالتراخي في الطلب فمرة طلب منه إتمامها سنتين ومرة أخرى نفى عن نفسه حب الشقي على الآخرين. فكان التعقيب بعد البيان يظهر رغبة النبي شعيب بموسى (عليه السلام) وتسامح منه وعدم اضطهاد الطرف الآخر لحاجته إليه.

التعقيب في هذا الحوار قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ تساوى الطرفين في الطرح والرغبة في الوصول الى نتيجة مرضية.

فالبيان والتعقيب من خلال الحوار بين النبي شعيب وموسى (عليه السلام) يظهر أن من شروط المحاور، عدم استغلال الطرف المحتاج إليه، بل أجعل من الأخلاق السامية التي تتحلى بك أن تبادر في العطاء. وعدم تضيق الخناق على المتحاور؛ لأن به حاجة إليك.

---

[1] **ظ: التبيان: الطوسي،٨/١٤٥، الكشاف: الزمخشري،٣/١٧٢.**

[2] **التبيان:الطوسي،٨/١٤٥.**

٣. التسلح بالمعرفة و العلم:

إن الحوار الناضج يفترض أن يكون له مقدمات صحيحة، ولا يتحقق هذا الجانب إلا بوجود متحاورين متخصصين في موضوع الحوار، والإحاطة به، فمن دون ذلك يجعل المحاور في موقع ضعيف. وأن كان الحق معه.[١] كما في حوار النبي إبراهيم (عليه السلام) مع طاغوت زمانه نمرود وهو يدخل ضمن إطار حديث الأنبياء مع طاغوت زمانهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.[٢]

اللغة:

المحاجة: إلقاء الحجة قبال الحجة لإثبات المدعي أولابطال ما يقابله، و أصل الحجة: هو القصد، وغلب استعماله فيما يقصد في إثبات دعوى.[٣]

ومَلِك: التصرف بالأمر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين، الملك ضربان: ملك هو التملك والتولي كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾،[٤] وملك هو القوة على ذلك تولى أو لم يتول كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم

---

[١] **ظ:مجلة فصل العدد الثاني:عبد العظيم جبر، ٣٦.**

[٢] **البقرة:٢٥٨-٢٦٠.**

[٣] **ظ:مجمع البحرين:الطريحي،٤٥٦/١.**

[٤] **النمل:٣٤.**

مُّلُوكاً ﴾.[1] والملك ههنا ((القوة التي بها يترشح للسياسة وليس معناه أنه جعلهم كلهم متـــولين للأمر)).[2]

وبهت: وهي الحيرة عند استيلاء الحجة، والبهتان: الكذب. فيقال: بهت الرجل يبهت بهتا: إذا انقطع وتحير، ويقال: بهت الرجل أبهته بهتانا: إذا قابلته بكذب.[3]

البيان:

الآية الكريمة تذكر لنا المحاجة التي دارت بين النبي إبراهيم (عليه السلام)، و نمرود بن كنعان، ملك من ملوك بابل، فهو أول من تجبر في الأرض بادعاء الربوبية. وبدأ الله تعـــالى الآية بتعجب، فقال:(ألم تر الى).[4]

وجاء في تفسير العياشي (ت:٣٢٠هـــ) عن أبى عبد الله (عليه السلام) قـــال:((أن أشـــد الناس عذابا يوم القيمة لسبعة نفر: أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه)). فإبراهيم (عليه السلام) كان يدعي أن ربه الله وحده لا غير، ونمرود كـــان يدعي أنه رب إبراهيم وغيره.[5]

أما السبب الذي من أجله دار الحوار بين النمرود وإبراهيم (عليه السلام)، فعنـــدما نجـــا إبراهيم (عليه السلام) من النار، سأله النمرود عن ربه، فأجابه النبي إبراهيم (عليه الســـلام)

---

[1] المائدة:٢٠.

[2] مفردات غريب القرآن:الأصفهاني،٤٧٢.

[3] ظ:كتاب العين: الفراهيدي،٣٥/٤، مفردات غريب القرآن:الأصفهاني،٦٣.

[4] ظ:التبيان: الطوسي،٣١٦/٢ ، الميزان: الطباطبائي،٣٤٨/٢.

[5] تفسير العياشي: العياشي،١٤٠/١ ، ظ: الميزان: الطباطبائي،٣٥٠/٢.

(ربي الذي يحي ويميت)، فقال له النمرود: أنا أحيي وأميت، فسأله النبي إبراهيم (عليه السلام)، كيف تحيي وتميت؟ فقال له النمرود: هاتوا إليّ بسجينين، فأطلق صراح أحدهم وقتل الثاني. وعندها عرف النبي إبراهيم (عليه السلام) مدى فهم النمرود للحياة، وجهله للحقيقة التي يحي الله تعالى بها من العدم، وحقيقة الموت، فلو لم يشأ الله تعالى في موت من قتله النمرود، لما مات. فجاءه ببرهان آخر حتى يبهته. فقال (عليه السلام) أن ربي يأتي الشمس من المشرق، فئت بها من المغرب. فتحير النمرود؛ لأنه كان يرى أن هناك آلهة أخرى من دون الله سبحانه، كما تدل عليه عامة قصص إبراهيم (عليه السلام) من تحطيم الأصنام و عبادة الشمس والقمر، فلذلك لم يطلب من النبي إبراهيم (عليه السلام) بأن يأتي ربه بالشمس من المغرب. لكن هذا الانتقال من دليل الى آخر، لبيان أن من يقدر على آتيان الشمس من الشرق قادر على أن يميت ويحي. [1]

وقوله (أن أتاه الله الملك) فالهاء عائدة الى النمرود، والملك الذي أعطاه الله تعالى الى النمرود هو كثرة المال واتساع الحال، لا ملك التدبير لأمور الناس؛ لأن في الأخير، أن أعطاه للطغاة سوف يعم الفساد بين الناس، ويكون بمعنى أورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو بمعنى أنه حاج ربه بدل من أن يشكر الله تعالى على نعمه.[2]

التعقيب:

الآية الكريمة بينت موقف النبي إبراهيم (عليه السلام) من الحوار، إذ كان يشكل الطرف المحاول لبيان الحقيقية المخفية لطاغي، يدعي الربوبية له. فنقطة الحوار متركزة على

---

[1] **ظ:تفسير القمي: القمي،١/٨٦ ، التبيان: الطوسي،٢/٣١٧-٣١٨.**

[2] **ظ:الكشاف: الزمخشري،١/٣٨٨.**

الوجود، والنبي إبراهيم كان الطرف الساعي لإظهار الحقيقة، والنمرود كان يريد أن يكون هو الرب بأي شكل من الأشكال.

والآية الكريمة بينت طريقة الحوار الذي جرى بينهما، إذ بدأت بتعجب من الله تعالى لشخص كثرت أمواله وعلا سلطانه، وبعدها بيّن سبب التعجب الذي ابتدأ به، إذ كيف لشخص أنعم الله عز وجل عليه هذه النعم، ولا يشكرها بل يجحد ويدعي الربوبية لنفسه. فالآيات مشتملة على بيان معنى الوجود، فحاول إبراهيم أن يثير فيه قضية الإلوهية، وارتباطها بالقدرة المطلقة التي لا يمتلكها الطاغية فطرح فكرة الحياة والموت وأراد الطاغية أن يستغل الفرصة، بأنه يملك هذه الصفة من خلال قتله لشخص وترك الآخر، وبهذه يكون هوالإله، ويعني هذا أيضا أن أعظم قضية في الكون هي قضية الخلق. وبعدها عقّب الحوار بكيفية أثبات قدرة الله سبحانه بقول إبراهيم: بأن الله عز وجل يأتي بالشمس من المشرق فان كنت تزعم أنك آله حق فآت بها من الغرب. وكان هذا التعقيب يوضح المسألة الأكثر أهمية في الكون وهي التي تبرهن قدرة الله سبحانه في أدارة الكون من دون مساندة أحد أو حاجة لغيره. فأن قول إبراهيم (عليه السلام) بأن ربه الذي يأتي بالشمس من الشرق، دليل على وعيه وصدق دعواه، حتى أن النمرود لم يرد على إبراهيم نفس دعواه، إذ لم يقل له فليأتِ ربك بالشمس من الغرب؛ لأن ذلك يؤدي الى إبطال دعواه في الربوبية، فمن صفات الرب قدرته على كل شيء، فأن قال لا استطع سيظهر عجزه، وأن قال فليأت ربك بالشمس من المغرب، ذلك أيضاً تعبر عن عجزة.

إذن البيان والتعقيب في الحوار له قدرة على إيضاح كيفية مخاطبة الأنبياء لطواغيت زمانهم، والتحمل عند سماع ما لا يرغب، والحنكة في الكلام، والتسلح بالعلم، والمعرفة في أدارة الحوار، والوثوق في صحة دعواهم.

٤. التروي و الهدوء و الاستماع الجيد:

إن من السلوكيات التي تسهم في نجاح الحوار هو الهدوء واللين والتـروي والاسـتماع الجيد، وضبط النفس والمرونة، والتوازن في المشاعر، ومن ثم التأثير وتحقيق أفضل النتائج على عكس التعصب والتشنج والرياء والغضب وغيرها مما يؤدي الى فشل الحوار. والتحلي بالصدق وحسن الظن بالآخر.[١] قال تعالى في كتابه العزيـز: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾.[٢] ويظهر جلياً في الحوار الذي دار مع النبي موسى (عليه السلام)، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾.[٣]

اللغة:

---

[١] **ظ: مجتمع اللاعنف: السيد حسن بحر العلوم،٣٤٧.**

[٢] **طه:٤٤.**

[٣] **البقرة:٧٦-٧١.**

الهزء: ((اللعب والسخرية)).[1]

والفارض: الكبيرة المسنة، وقيل هي التي ولدت بطون كثيرة، فيتسع لذلك جوفها، أن معنى الفارض في اللغة: الواسع الضخم.[2]

والبكر: الصغيرة التي لم تحمل، والبكر من كل شيء: أوله.[3]

البيان:

تتضمن الآية الكريمة توبيخ للمخاطبين من بني إسرائيل، كانت امرأة حسناء ذات جمال وخلق كامل، وكان لها بنو أعمام ثلاثة، فرضيت بأفضلهم، فاشتد حسد ابنيّ عمه الآخرين له، مما دفعهما الى قتله، وحملاه إلى محلة تشتمل على أكثر قبيلة في بني إسرائيل، ولما أصبح الصباح أحضرهم النبي موسى (عليه السلام) وسألهم، فأنكروا قتله وأنكروا العلم بقاتله، فحكم الله تعالى، أما أن يحلفوا بعدم قتلهما له أو يغرما، فأبيا أن فعلا أحداهن، وقالا لموسى (عليه السلام) قلا ربك يبين لنا من القاتل، فأوحى الله تعالى الى موسى (عليه السلام)، أن الله تعالى يبين لكم ذلك ويأمركم أن تذبحوا بقرة، وتضربوا ببعضها المقتول فيحيى ويخبركم بقاتله، وما كان جوابهم إلا أن قالوا: أتستهزئ بنا. فأجابهم موسى (عليه السلام) أوليس بذوركم التي تزرعونها في أرضيكم تتفسخ وتتعفن وهي ميتة، ثم يخرج الله تعالى منها السنابل، فأنبهوا لقول موسى (عليه السلام)، فقالوا: أدع لنا ربك يبين لنا ما هي، فأوحى الله تعالى لموسى (عليه السلام) إنها بقرة لا كبيرة ولا صغيرة وسط، فقالوا: ما لونها، فأوحى الله تعالى، أنها صفراء، فقالوا: ما صفتها؟ فأوحى الله تعالى، أنها لم تذلل لإثارة الأرض وهي مما لا تجر الدلاء، ولا تدير النواعير، ولا عيب فيها. فوجدت البقرة عند شاب من بني إسرائيل، أراه الله

---

[1] **كتاب العين: الفراهيدي،٤/٧٥.**

[2] **ظ: لسان العرب: ابن منظور،٧/٢٠٤.**

[3] **ظ: كتاب العين: الفراهيدي،٥/٣٦٤.**

تعالى في منامه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وطيبي ذريتهما (عليهم السلام)، فقالا له: إذا عزموا شراء بقرتك فلا تبعها إلا بأمر أمك، فأن الله عز وجل يلقنها ما يغنيك به. فبلغ ثمن البقرة ملء جلد ثور، وبعدها ذبحوا البقرة وأخذوا عجز الذنب الذي منه خلق ابن آدم (عليه السلام) فضربوا بها المقتول، فأحياه الله تعالى وأخبر بقاتله.[1]

وقوله (فذبحوها وما كادوا يفعلون) فالظاهر أن ذمهم مصروف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم أمتثال الأمر بعد البيان التام فذمهم لتقصهم، أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام.[2]

وهذه الآيات تحمل دلالة سوء أدب بني إسرائيل وإيذائهم لرسولهم، وذلك لتعنتهم وتشديدهم في الاستيضاح، والاستخفاف بالأوامر الإلهية.[3]

التعقيب:

في الآيات الكريمات ذكر الله تعالى لنا الحوار الذي دار بين النبي موسى (عليه السلام) وقومه، فالآية بينت أسلوب الحوار الذي دار بينهم، إذ قال لهم موسى (عليه السلام) أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، والأمر الإلهي يجب أن يُنفذ ومن دون مناقشة، وما كان الرد منهم إلا أن قالوا: أتستهزئ بنا؟ فالآية بينت لنا كيف كان أسلوب الحوار، إذ فيه المماطلة من قبل الطرف الذي يريد أن يبعد الشبه عنه.

والتعقيب كان في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ

---

[1] **ظ:تفسير الإمام العسكري: الإمام العسكري (عليه السلام)، ٢٧٣-٢٨٢ التبيان:الطوسي،١/٢٧٢-٢٧٩.**

[2] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،١/٢٦١.**

[3] **ظ:الميزان:الطباطبائي،١/١٩٩.**

لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ فالتعقب في ذكر تفاصيل الحوار الذي دار بين موسى (عليه السلام) وقومه. وما دار بينهم من استفسار وتقصي حول البقرة التي يستلزم ذبحها، فلما شددوا على أنفسهم في تحديد أي الأبقار يذبحوا، شدد الله تعالى عليهم.

إذن البيان والتعقيب ومن خلال الحوار الذي دار في الآيات الكريمات، أظهرت لنا عدداً من أصول وقواعد وضوابط الحوار.

فعلى المحاور أن يكون له طول الصبر وعدم فقدان الصواب عند الاستهزاء به وعدم التعنت والاستطالة في قول الحق فالبيان والتعقيب في الحوار في القران الكريم يظهر لنا أدب الحوار بين الخصمين من خلال البيان والتعقيب في إيراد الحوار الذي دار بين النبي موسى (عليه السلام) وقومه.

٥. الإلمام بشخصية الطرف الآخر:

من العناصر المهمة في الحوار، جمع المعلومات عن الطرف الآخر. أما ما يتعلق بشرط الحوار أو التحاور، فإنه لابد لكلّ من طرفي الحوار، من التعرف على الفكرة التي ينطلقان في طريق أثباتها ونفيها؛ لأن الجهل بها وبتفاصيلها، يحوّل الحوار الى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات التي يغطي فيها كلٌّ منهما ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع القوي عن فكرته، بينما تجعل المعرفة كلا منهما واعياً لما يطرح من فكر، ولما يستقبل من فكر، مما يجعله يعرف كيف يبدأ الحوار، وكيف يخوض فيه وكيف ينتهي منه، في

وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجة، ووداعة الكلمة.[1] نحو قوله تعالى في قصة موسى (عليه السلام) مع الخضر (عليه السلام): ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ

---

[1] **ظ:تجديد الخطاب الديني: علي طاهر،١٥٩.**

رُحْماً ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾.[١]

اللغة:

رحمة من عندنا: هي الوحي والنبوة.[٢]

ولدنا:((لدن بمعنى (عند)، وتقول: وقفوا له من لدن كذا إلى المسجد ونحو ذلك: إذا اتصل ما بين الشيئين)).[٣]

وإمرا: في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ فمعناه: المنكر، وهو مأخوذ من الأمر.[٤]

والنكر: ((المنكر)).[٥]

البيان:

الآية تتحدث عن موسى وغلامه، ومصادفتهما بالخضر (عليه السلام)، الذي أعطيناه نعمة من عندنا وهي نعمة العلم. فقال موسى (عليه السلام) الى هذا العبد: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت.[٦]

---

[١] **الكهف:٦٥-٨٢.**

[٢] **ظ:جوامع الجامع:الطبرسي،٢/٤٢٦.**

[٣] **كتاب العين: الفراهيدي،٨/٤٠.**

[٤] **ظ:الصحاح: الجوهري،٢/٥٨١.**

[٥] **ظ: الصحاح/ الجوهري،٢/٨٣٧.**

[٦] **ظ: م.ن:٧/٧٠.**

واختلف بموسى، قيل أنه موسى بن عمران (عليه السلام)، وآخرون قالوا موسى بن ميشا. فمن قال أنه موسى بن عمران (عليه السلام)، فهو يرى أن الخضر (عليه السلام) أيضا نبي، وإتباع موسى (عليه السلام) له؛ لأنه يريد أن يتعلم مما عند الخضر ليس عند النبي موسى (عليه السلام)، ولكن موسى (عليه السلام) كان عنده سوى ذلك. ومنهم من أعترض على نبوة الخضر؛ لأنه لازال حي فكيف يكون نبياً بعد نبوة محمد، ومنهم لم يعترض على ذلك؛ لأن نبوة الخضر (عليه السلام) قبل نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو لم يأتِ بعده. وأما من قال أنه موسى بن ميشا؛ لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه، ولكن لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله.[1]

وأما قوله (أنك لن تستطع معي صبرا) معناه يثقل عليك الصبر، ولم يكن بمعنى أنك لا تقدر علي؛ لأن موسى (عليه السلام) كان قادرا متصرفا، فكان موسى (عليه السلام) يأخذ الأمور على ظواهرها، والخضر كان يحكم بما أعلمه الله تعالى من بواطن الأمور، بدليل الآية اللاحقة لها (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا).[2]

وبعدها بدأت رحلتهما، وتعجب النبي موسى (عليه السلام) مما يفعله الخضر (عليه السلام)، لفعله أمور لا يستطيع أحد تحملها. إذ ركبا السفينة فشق الخضر (عليه السلام) السفينة، فأنكر موسى (عليه السلام) هذا العمل، وقال: أخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، والإمر هو المنكر.[3]

---

[1] **ظ: الكشاف:الزمخشري،٢/٤٩٢، التبيان:الطوسي،٧/٧٠-٧١.**

[2] **ظ: التبيان: الطوسي،٧/٧١.**

[3] **ظ: م.ن:٧/٧٣.**

فكان جواب الخضر (عليه السلام)، تذكير لموسى (عليه السلام) فيما قاله له مسبقا، أنك لا تتحمل ما ستشاهده من أفعالي ويثقل عليك، فقال موسى (عليه السلام) لا تؤاخذني بما نسيت، وقيل معنى النسيان، الغفلة، وقيل ترك العهد، أو بمعنى أنه نسى وصيته.[١]

والعمل الآخر الذي قام به الخضر (عليه السلام) رأى غلام وقتله، قال له موسى (عليه السلام): أقتلت نفسا طاهرة من الذنوب، وبغير نفس؟ لقد جئت شيئا منكرا. فأجابه الخضر، ألم اقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا. وبعدها أشترط موسى (عليه السلام) على نفسه أن سأله ثالثه فسيفارقه بعدها.[٢]

والموقف الأخير الذي دار بين موسى والخضر (عليهما السلام) أنهما أتيا قرية وطلبا من أهلها ما يأكلانه، فلم يطعماهما، ووجدوا في القرية جدار قارب أن يسقط، فرفعه بيده فاستقام، فقال موسى (عليه السلام) لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم، حتى كنا نسد به جوعنا.[٣]

فأجاب الخضر (عليه السلام) هذا فراق اتصال ما بيني وبينك. وبعدها بدأ يخبره بما شاهده موسى (عليه السلام) من الأعمال التي جاء بها الخضر (عليه السلام). أما سبب خرقي للسفينة أنها كانت لمساكين، يعملون بها في البحر، وأردتُ أعابتها؛ لأن كان عندهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصب، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما.[٤]

التعقيب:

---

[١] **ظ:م.ن:٧/٧٤، الكشاف:الزمخشري،٢/٤٩٣.**

[٢] **ظ: التبيان: الطوسي ،٧/٧٥.**

[٣] **ظ:م.ن:٧/٧٦ ، مجمع البيان:الطبرسي،٦/٣٧٥.**

[٤] **ظ: التبيان: الطوسي، ٧/٨٠-٨١.**

ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات الحوار الذي دار بين النبي موسى و الخضر (عليهما السلام). فقد بينت الآيات الأولى من الحوار أن موسى (عليه السلام) يريد الحصول على علم عن الخضر (عليه السلام) ليس موجود عنده، فذكرت الآية: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ فهنا بيان لطلب موسى (عليه السلام) العلم من الخضر (عليه السلام)، كما أن رد الخضر (عليه السلام) يشتمل على معنى أنه كان يمتلك من العلم ما لم يحصل عليه موسى (عليه السلام). أي كان ملماً بشخصية موسى (عليه السلام) فلذا أشترط عليه أن لا يسأله من أمره شيئاً.

وبعد هذه الآيات عقّب الله تعالى بذكر تفاصيل ما جرى بين موسى والخضر (عليهما السلام) وما دار بينهما من حوار، إذ تساءل موسى (عليه السلام) عند مشاهدته لموقف معين يصدر من الخضر، تعقيب لما بينته الآية الكريمة: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ .

ومن التعقيب والبيان الذي جاء في حوار موسى والخضر (عليهما السلام) يظهر لنا من أصول الحوار هو الصبر عند المحاورة. والاستماع لما يلقي من أقوال وأفعال، فأن من أخطائه قد نستفيد، في تجنب الوقوع مثلها، كما يستلزم من أخلاقيات المحاور الهدوء والسكينة عند السماع وعند الإلقاء. وكل هذه تأتي من إلمام الخضر بشخصية موسى (عليهما السلام).

العنصر الثاني: موضوع الحوار:

لا بد من موضوع يتحاوران لأجله المتحاوران، فالمحاورة تشترط أموراً لموضوعها وستتجلي شروط موضوع الحوار في القرآن الكريم بظاهرة البيان والتعقيب، من خلال الأمثلة القرآنية التالية:

١) التدرج في المحاورة ، ومعرفة من أي الأمور البدء أولاً، فقد يكون بدء المحاور بالموضوعات الكبيرة أفضل؛ لأنه قد تتضح صغارها أثناء طرح الموضوعات الرئيسة، ولان الأمور الصغيرة قد تكون في بعض الأحيان تعبدية وتوقيفية ليس للعقل نصيب في أثباتها كالصلاة.[١] مثال ذلك في حوار الله تعالى مع الملائكة، كان تدرجاً في الكلام من الطرف المحاور الأساس المتمثل في الذات المقدسة، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.[٢]

سبب النزول:

---

[١] **ظ:تجديد الخطاب الديني: علي طاهر، ١٥٧-١٥٩.**

[٢] **البقرة: ٣٠-٣٤.**

وفي رواية عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي،[1] أقبل علي (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):((من سره أن ينظر الى آدم في علمه ونوح في فهمه وإبراهيم في حلمه فلينظر الى علي بن أبي طالب)).[2]

وقيل الخلفاء في الأرض أربعة هم: آدم وداود وهارون لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.[3] وعلي (عليه السلام).[4]

اللغة:

جاعل: بمعنى فاعل وخالق، وجعله: صيره.[5]

والسفك: ((صب الدماء)).[6]

والتسبيح: ((تنزيه الله تعالى عن السوء)).[7]

والتقديس: بمعنى التطهير. فهو نقيض التنجيس.[8]

البيان:

قال الله (جل وعلا) للملائكة عندما طردوا الجن من الأرض: أني خالق بدلا منكم ورافعكم منها، فقالوا: ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، كما فعلته الجن، ونحن

---

[1] عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي الكوفي، من أصحاب الصادق (عليهالسلام). روى بعنوان عبيد الله بن موسى العبسي، عن إسرائيل بن يونس، وروى عنه أحمد بن يحيى المقرى . وروى عن سفيان الثوري، وروى عنه الحسن بن علي بن النعمان. ظ: معجم رجال الحدث: الخوئي، ١٢/ ٩٥-٩٦.

[2] شواهد التنزيل: الحسكاني: ١/١٠٠.

[3] الأعراف:١٤٢.

[4] ظ:مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب،٢/٢٦١.

[5] ظ:الصحاح: الجوهري،٤/١٦٥٦.

[6] كتاب العين: الفراهيدي،٥/٣١٥.

[7] الصحاح:الجوهري،٢/٤٧٣.

[8] ظ: مجمع البيان: الطبرسي:١/١٤٦.

نسبح بحمدك، وقيل أنما قالوا ذلك متعجبين من استخلافه لهم، أي كيف يستخلفهم وقد علم بفسادهم، فكان سؤال استفسار لا سؤال اعتراض. فقال تعالى: أني أعلم فيمن يكون الصلاح. وذلك لخلافة الله تعالى في الحكم بين الخلق، على الأرض.[١]

ويعبر الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) عن سبب معرفة الملائكة لما سيحدث من فساد، فقال:((إن الموجود الأرضي بما أنه مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية، والدار دار التزاحم،... ولا يكمل البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلومن الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أن الخلافة المرادة لا تقع في الأرض إلا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم يفضي بالآخرة الى الفساد والسفك)).[٢]

ويذكر ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) ستة أقوال في المراد الإلهي من إخباره للملائكة بخلق آدم وهي:[٣]

- أن الله تعالى علم في نفس إبليس كبرا، فأحب أن يطلع الملائكة عليه.
- أراد أن يبلو طاعة الملائكة.
- سؤال الملائكة عن سبب خلق الله تعالى للنار، وهم لم يعصوه أبداً، وكانوا لا يعلمون بوجود خلق غيرهم، فأجابهم الله تعالى (أني جاعل في الأرض خليفة).
- إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه.
- أراد تعظيم آدم بالخلافة قبل وجوده.
- أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وأن ابتدأ خلقه في السماء.

---

[١] ظ:تفسير الإمام العسكري: الإمام العسكري،٢١٦ ، التبيان: الطوسي،١٣١/١، ١٣٣ ، الأمثل:الشيرازي،١٥٦/١.

[٢] ظ: الميزان: الطباطبائي،١١٤/١ ، ظ: الأمثل: الشيرازي،١٥٦/١-١٥٧.

[٣] ظ:زاد المسير: ابن الجوزي،٤٦/١-٤٧.

والأسماء التي علمها الله تعالى لآدم هي:((أسماء أنبياء الله تعالى، وأسماء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والطيبين من آلهما وأسماء خيار شيعتهم وعتاة أعدائهم)).[١]

وبعدها عرض على الملائكة أشباه محمد وعلي والأئمة، فقال الله تعالى للملائكة: أنبؤني بأسماء هؤلاء، فلم يعرفهم الملائكة. وبعدها قال تعالى لآدم: أنبأني بأسماء هؤلاء، فعرفهم.[٢]

فسجد الملائكة لآدم إلا إبليس أستكبر، فيبدوا أن إبليس كان كافراً قبل السجود، وهو مرتبط بقوله تعالى (إني أعلم ما لا تعلمون)، وكذلك مرتبط بقوله (ما كنتم تكتمون).[٣]

التعقيب:

ففي هذه الآيات الكريمات دار حوار بين الله تعالى وملائكته؛ لإخبارهم بخلافة الأرض. وفيه كان اختباراً من الله تعالى لملائكته، وبيان منزلة آدم (عليه السلام) إذ فضله عليهم في تعليمه ما لم يُعلمهم.[٤]

ومحور الحديث يدور حول الخلقة الأولى للبشر على الأرض، فالله تعالى خالق الخلق أجمعين. وملائكته لا يعصون له أمراً، فلماذا أخبرهم بالذي سيصنعه في الأرض؟

إنما أراد الله تعالى من إخبار الملائكة لاختبارهم. فعندما استفسروا عن سبب الخلق، كان اختباراً غير كافٍ، عقّب بعدها بالاختبار الثاني، وهو الأمر بالسجود لآدم، وعندها تحقق الفصل وجزم في معرفة المعاند. وذلك عندما أبى إبليس السجود.

---

[١] **ظ: تفسير الإمام العسكري، الإمام العسكري (عليه السلام)،٢١٧ ، الأمثل:الشيرازي،١٥٦/١.**

[٢] **ظ: تفسير الإمام العسكري، الإمام العسكري (عليه السلام)،٢١٧.**

[٣] **ظ: م.ن،٢١٨، الميزان: الطباطبائي،١١٨/١، ١٢٢.**

[٤] **ظ:الأمثل:الشيرازي،١٥٤/١، ١٥٨.**

فبما أن الله تعالى أخبر الملائكة، أنه (جل وعلا) جاعل في الأرض خليفة، فهذا بيان لعلم الله تعالى وحكمته في الخلق، فلماذا عقّب الملائكة في السؤال؟

وسبب سؤال الملائكة؛ لأنه كان خلق غير هؤلاء الخلق مفسدين، فبنوا تصورهم على هذا الأساس. لكن كما هو معروف أن الملائكة لا تعصي لله أمراً ولا تناقش ولا تجادله في أي شيء، فهم يطيعونه طاعة مطلقة. أضف الى ذلك معرفتهم بقدرة الله وحكمته. تمنعهم من السؤال.

فعقّب الله تعالى بعدها قائلا:((قال أني أعلم ما لاتعلمون)) وتمم ما جرت من أحداث، إذ دبر سبحانه لكل شيء. وأثبت ما كان يريده من الخلقة الجديدة، وكشف حقيقة إبليس.

فنلحظ من ذلك، أن غاية الحوار كانت كشف حقيقة، من هو العابد المخلص لله تعالى، والبيان والتعقيب في النص القرآني وفي موضوع الحوار يرسم لنا الطريقة الصحيحة التي يجب إتباعها عند الاختبار، فلا بد من أن يكون تدرج في الكلام، والبدء من الأقل والصعود تدريجياً، في المطالب، وعندها سيعرف المحاور، عدد المؤيدين له عند كل درجة اختبار.

٢) التركيز على الأمور المسلمة عند الطرفين أو الطرف الآخر.

ذكر الله تعالى في كتابة الكريم، الحوار الذي دار بين النبي يعقوب (عليه السلام) ويوسف (عليه السلام)، فقال جل وعلا: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ

لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

البيان:

الرؤيا كانت عندهم وحياً، والكواكب أخوته، والشمس والقمر أبواه، قال يعقوب (عليه السلام) لأبنه يوسف: يا بني لا تقصص رؤياك هذه على أخوتك فيحسدوك فيكيدوا لك كيدا، بإطاعتهم الشيطان الذي يوسوس لهم، وما قال يعقوب (عليه لسلام) هذا القول إلا عندما قد تبين له حسدهم له قبل ذلك.[2]

ويجتبيك ربك كما أراك سجود الكواكب والشمس والقمر في الرؤيا، فكذلك يصطفيك، وسيعلمك تأويل أحاديث الناس عمّا يرونه في منامهم، ويتم نعمته عليك، وعلى أهل دين يعقوب وملته من ذريته، باجتبائه إياك واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث.[3]

التعقيب:

ينقل لنا الحوار القرآني كلام يوسف مع أبيه (عليهما السلام)، إذ كان يوسف (عليه السلام) يقص على أبيه رؤيا قد رآها في منامه، فبعد قول يوسف (عليه السلام) جاء قول يعقوب (عليه السلام) ((يا بني لا تقصص رؤياك))، فهذا الكلام الصادر من أبيه يشير أن أيمانه بالرؤى فهو لم يستهزئ، أو يستخف وأنما شدد عليه وأكد له في الحرص على عدم

---

[1] **يوسف: ٤-٦.**

[2] **ظ:جامع البيان:الطبري، ١٢/١٩٧-١٩٨.**

[3] **ظ:م.ن: ١٢/١٩٩.**

سرد الرؤية لأخوته، وبعدها عبر له ما تؤول إليه الرؤيا من أمور مستقبلية، إذ سيحقق لـــك رؤياك، فالتعقيب قد أظهر أن موضوع الحوار كان من الأمور المسلمة عند الطرفين.

٣) تحديد هوية المحاور، وذلك للالتزام بالقواعد والأصول.

ذكر الله تعالى أنبياءه في القرآن الكريم، وذكر نعمه عليهم، فمن الحوارات التي بين الخالق والمخلوق، وجاءت في القرآن الكريم حوار زكريا (عليه السلام) مع الله تعـــالى، فمن الآيات التي جاء بها ذكر ألاء الله تعالى على أنبياءه في سورة مريم، إذ قال جـــل و علا: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ۝ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ۝ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾.[1]

البيان:

دعا زكريا ربه، أني ضعفت؛ لأن الوهن هو نقصان القوة، وأضاف العظم للوهن، لبيـــان مدى الضعف الذي وصله زكريا (عليه السلام)، ذلك لصلابة العظم وقوته، فأن ضعف العظم

---

[1] **مريم:٢-١٠.**

فما بالك باللحم والعصب. وانتشر الشيب في الرأس، أي كان كل رأسه ممتلئ بالشـــيب؛ لأن الاشتعال يأتي للشيء على آخره. و أخبر الله تعالى عن نفسه بأنه يوحده ويؤمن به.[1]

وبعد أن بين ما أصابه بفعل الزمان، عقّب في طلب ما يريده من خالقه فقال الله تعـــالى على لسان نبيه: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾؛ لأن زكريا (عليه السلام) كان من الأنبياء وهو يؤمن بقدرة الله تعالى على الخلق، كما أن بداية دعاءه تخبرنا أنه ناجى الله تعالى متضرعا، وأنه مؤمناً به. إذ قال عند مناجاته (لـــم أكن بدعائك رب شقيا) أي لم يكن دعائي خائباً عندك، و خفت بني عمي على الدين، وقيـــل فيهم الموالي؛ لأنهم يلونهم في النسب بعد الصلب، وأخبر زكريا (عليه السلام) الله تعالى، أن زوجته كانت عاقراً ولا تلد، فعقّب وطلب من الله تعالى، أن يأتيه الولد مـــن عنـــده، وطلـــب زكريا (عليه السلام) الولد كي يرث النبوة.[2]

التعقيب:

أنظر للمحاور المؤدب، بدأ في أول الأمر ببيان الحال التي هوفيها، بأنه ضـــعيف وهـــو بحاجة الطرف الآخر، وبعدها عقّب بالاعتراف بالإيمان به. كما قدم سبب الطلب وعقّب بذكر العلة المانعة من تحصيله للمطلوب. وعندها طلب من المقابل ما يتمنى الحصول عليه. كما أن هناك رغبة أخرى في الطلب وهي الإطالة بالعمر حتى يرث أبيه وأن يكون رضيا.

فاستجاب الله تعالى لدعاء زكريا (عليه السلام)، وزاده شرفا بأن كان تســـميته مـــن الله تعالى. وعقّب الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ

---

[1] **ظ:التبيان: الطوسي،١٠٣/٧-١١٠، مجمع البيان: الطبرسي،٤٠١/٦-٤٠٦.**

[2] **ظ:الميزان: الطباطبائي،١٧٧/٣.**

مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾، والاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ تعجب واستعلام لحقيقة الحال، لا استبعاد،[1] فلماذا عقّب زكريا على بيان السبب الذي منع في تكوين الولد؟

وعقّب زكريا (عليه السلام) بذكر السبب؛ لأنه كان من الصعب حصول المراد مع هذين المانعين؛ لأن كبر الرجل تمنع من حصول الولد، وعقر المرأة مانع آخر، فما بال عند اجتماعهما.

فمجيء التعقيب بعد البيان في الحوار الذي دار بين زكريا وربه، بين مدى اليأس الذي كان متملك زكريا (عليه السلام) من حصوله على الأولاد. وفي نفس الوقت كان يتأمل بمن يحاوره أن يمنحه سؤاله. وذلك أن يعرف هوية المحاور له، فلما كانت هوية المحاور محددة في قلب المتكلم، جعلته ملتزماً بقواعد وأصول الموضوع.

٤) موضوعية الحوار، والإذعان للحق.

موضوعية الحوار من الشروط الواجب توفرها في موضوع الحوار، وكذلك الإذعان للحق والابتعاد عن التعصب، وهذا الشرط سيبينه الحوار في الآية الكريمة من خلال البيان والتعقيب، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن

---

[1] **ظ: الميزان: الطباطبائي، ١٤/١٦.**

تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.[1]

البيان:

ورد عن الله تعالى عن نوح (عليه السلام)، أنه حين رأى قومه قد أهلكهم الله تعالى، فقال: يا رب أن أبني من أهلي، وكان النداء هنا تعظيم، وأنت وعدتني بأن تنجيني وأهلي، ووعدك حق؛ لأن نوح (عليه السلام) كان يتصور أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾،[2] يشمل زوجته فقط، لذلك خاطب نوح ربه بهذا الكلام، فناداه الله تعالى أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك؛ لأنه كان منافقاً، إذ كان يعلن الإيمان ويضمر الكفر. وكان النداء نداء تنبيه، فهذا عمل غير صالح ولا تسألني ما لا تعلم؛ لأنه من سؤال الجاهلين، أني أعظك أن تكون من الجاهلين، والوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى الجهل، على وجه الترغيب والترهيب. والجهل قبيح على كل حال.[3]

فالآية تحمل إشارة أن لا رباط بعد رباط الدين، فعندما لم يؤمن ابن النبي نوح (عليه السلام) بما أنزل على أبيه، إنقطع رباط القرابة، بانقطاع الدين.

---

[1] **هود: ٤٥-٤٨.**

[2] **هود: ٤٠.**

[3] **ظ: التبيان: الطوسي، ٥/٤٩٣-٤٩٥، مجمع البيان: الطبرسي، ٥/٢٨٥، الأمثل: الشيرازي، ٦/٥٥٢.**

وما كان قول نوح (عليه السلام)، إلا اعتذاراً من رب الجلالة، واعتصاماً به تعالى في طلب النجاة لنفسه، فرد الله تعالى عليه بأمر النزول من الجبل بسلام بعد هبوط السفينة.[1]

فبينت الآية الكريمة الحوار الذي دار بين الله تعالى والنبي نوح (عليه السلام)، بدأ بالنداء من النبي (عليه السلام) لله تعالى، لطلب النجاة لولده، ورد الله تعالى عليه بنفي ما قاله، أي كأن النبي (عليه السلام) يتوسط بنوبته لولده، ولكن الله تعالى نفى هذه القربة التي بينهم.

فكانت الآيات حافلة بالبيان للحوار العقائدي، والشفاعة ستكون لمن يستحقها، فليس للقرابة شفيع.

التعقيب:

كان التعقيب في الآية الكريمة هو رد الله تعالى على طلب نوح (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾، إذ الحوار الذي بين النبي نوح (عليه السلام) والله تعالى، كانا بنداء أحدهم للآخر، وكان واضحاً، فطلب نوح (عليه السلام) النجاة لولده، ورد الله تعالى عليه كان في غاية البيان والوضوح، أي أن ولد نوح مطرود من رحمة الله تعالى ومعيار النجاة هو عبادة الله تعالى، فهي الشفيع من الهلاك، كما أن الآية الكريمة بينت أن نوح (عليه السلام) كان عارفا بذلك متيقنا بأن الله تعالى خير العالمين، فلماذا عقّب الله تعالى بعد ذلك بوصف ابن نوح (عليه السلام) بأنه غير صالح، ولا يحق للنبي أن يشفع له؟

---

[1] **ظ: التبيان:الطوسي ، ٥/٤٩٦-٤٩٨.**

وإنما جاء التعقيب بعد البيان في هذا الحوار ليكشف لنا أنه يجب الإذعان للحق ولو كان فيه لوعة ومرارة عند تجرعها. فالموضوعية بالحوار وتقبل القول والإذعان للحق، ستعطي للحوار صفة المصداقية.

أهداف الحوار:

لا ريب أن الأهداف متعددة ومختلفة، ويمكننا استخلاص عدّة أهداف للحوار في القرآن الكريم، وستظهر بصورة جلية، عند تطبيق البيان والتعقيب في الحوار الذي جاء في القرآن الكريم:

١. إقامة الحجة: الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول الى الحق.

وأهم المراحل في الحوار هي مرحلة الجدال في شأن قبول الدعوة أوأنكارها، والقرآن الكريم جعل الأفق واسع لوصول الغاية المقصودة.[1] فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾.[2]

ودارت حوارات كثيرة في القرآن الكريم كانت الغاية منها إقامة الحجة وإثبات صحة الدعوة، ومن هذه الحوارات الحوار الذي دار بين النبي السليمان (عليه السلام) والهدهد، فقال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ قَالَ

---

[1] ظ:مجتمع اللاعنف: السيد حسن بحر العلوم، ٣٤٦، تجديد الخطاب الديني: علي طاهر،١٦١.

[2] العنكبوت:٤٦.

سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.[1]

البيان:

أخبر الله تعالى عن سليمان (عليه السلام) أنه تفقد الطير، فقال: ما لي لا أرى الهدهد، وسبب تفقده للهدهد، أن سليمان (عليه السلام) احتاج إليه في سيره ليدله على الماء؛ لأن الهدهد كما قيل أنه يرى الماء في باطن الأرض. فتوعد سليمان (عليه السلام) الهدهد أن لم يأتِ بحجة ظاهرة لتأخره، فسيعذبه أو يذبحه أو يأتي بسلطان مبين.[2]

فلبث غير بعيد، ثم جاء سليمان (عليه السلام) وتعذر عن تأخره، فقال: علمت بما لم تعلم، وعلم الإحاطة هوأن يعلمه من جميع جهاته التي يمكن أن يعلم عليها. جئتك من مدينة سبأ بخبر لا شك فيه، فيجب أن يعرف بذلك حتى يصلح أمر هؤلاء القوم؛ لأن الشيطان تلاعب بهم، ثم شرح الأمر للنبي سليمان (عليه السلام).[3]

وحجة الهدهد كانت في أن القوم يسجدون للشمس من دون الله تعالى تعظيما لها، وتركوا عبادة الله تعالى الذي أخرج جميع الأشياء. من العدم الى الوجود، ومن الغيب الى الشهادة. وأضاف معقباً في البيان لتمام حجته، ((الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)) فهو بمنزلة التصريح بنتيجة البيان الضمني السابق وإظهار الحق.[4]

التعقيب:

---

[1] **النمل: ٢٠-٢٨.**

[2] **ظ:التبيان:الطوسي،٨/٨٧.**

[3] **ظ:م.ن:٨/٨٨-٨٩.**

[4] **ظ:تفسير الميزان:الطباطبائي،١٥/٣٥٦-٣٥٧.**

والتعقيب حصل في القول: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

فالآيات التي سبقتها قد بينت أنما كان غياب الهدهد لسبب وجيه، وحجة بينة، وبعد أن بين ما رآها عقّب في القول أن سبب عبادتهم لغير الله تعالى هو فعل الشيطان ووسوسته لهم، وكان الحق أن يعبدوا الله سبحانه. وعندما فصل الهدهد في القول، كان رد الطرف الآخر المتمثل في سليمان (عليه السلام) أن يمهله حتى يكتشف الحقيقة بنفسه.

وإنما عقّب الهدهد في تفصيل القول، كانت الغاية منه إلقاء الحجة التامة، ومقارنة بالملك الذي عند بلقيس. فالله تعالى لا إله إلا هو، وهو تعقّيب لعبادتهم للشمس. وقوله رب العرش العظيم، تعقيب لقوله ولها عرش عظيم. فكان تعقيب قوله (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) تثبيت لأمر الله تعالى في حقه بالعبودية الخالصة له. ونفي لما يعبدون عليه مدينة سبأ وملكتهم التي لها عرش عظيم.

فالبيان والتعقيب في الحوار الذي حصل بين النبي سليمان (عليه السلام) والهدهد، نلحظ أن الغاية من الحوار كانت إقامة الحجة، لغرض إثبات هل أن غياب الهدهد كان على عمل يرجع بنفع أم لا.

٢. تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضيق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الإطراف في زمن كثر فيه التباغض والتنافر.[١]

في بعض الأحيان يتحاور طرفان، فيبدأ أحد هذين الطرفين بالطلب فوق المعقول، وحتى يصل الطرفان الى حل، لا بد من تضيق الخلاف، وتقريب وجهات النظر، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.[٢]

البيان:

الآية تذكر لنا قوم موسى (عليه السلام) الذين أساءوا الاختيار، فقبل هذه الآية عدد الله تعالى النعم التي أنعمها الله تعالى عليهم، وفي هذه الآية ذكر ما قابلوا تلك النعم من الكفر فيها: فقالوا يا موسى لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد، أي أنهم كانوا يأكلون في كل يوم نوع واحد وهو المن والسلوى. فقالوا لموسى (عليه السلام): اسأل ربك وادعه لأجلنا، يخرج لنا مما تنبته الأرض، وسبب طلبهم لذلك أنهم لما أنعم الله تعالى عليهم بإنزال المن والسلوى، والغمام تظللهم، ملوا من هذا العيش، فذكر لهم عيشا في مصر.[٣]

---

[١] **ظ:آداب الحوار و قواعد الاختلاف: عمر بن عبد الله كامل،٤.**

[٢] **البقرة:٦١.**

[٣] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،١/٢٣٩-٢٣٨.**

والطبيعة الإنسانية تحب التنوع وتمل من المتكرر، فعندما كان بنو إسرائيل قد ملوا من نوع معين كانوا دوما يأكلونه فلا لوم عليهم عندما طلبوا أنواعاً مغايرة، لاسيما هم من البشر، وإن الله تعالى تعجب من طلبهم، فالآية تحمل في طياتها دلالة إذ تشير إلى أن النفس الإنسانية الطاهرة النقية، يجب أن ترضى بنعم الله تعالى، ولها الخيار أما الفوز برضا الله تعالى وقبول ما يمن به عليهم. أو إتباع الشهوات.[١]

فتعجب موسى (عليه السلام) من طلبهم هذا، فقال لهم : أتتركون ما اختار الله تعالى لكم، وتؤثرون بالذي هو أدنى وأردى.[٢]

فعقّب الله تعالى بعد هذا البيان، بذكر العاقبة التي وصل إليها بنو إسرائيل، فضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله تعالى لكفرهم بآيات الله تعالى، ولقتلهم الأنبياء بغير حق.[٣]

التعقيب:

ذكر الله تعالى في هذه الآية الحوار الذي جرى بين النبي موسى (عليه السلام) وقومه، إذ طلب بني إسرائيل من النبي موسى (عليه السلام) أن يدعوا الله تعالى ليرزقهم من خيرات الأرض، فكان رد موسى (عليه السلام) استفهاماً متعجباً من طلبهم، فأن كنتم راغبين بذلك فأذهبوا لمصر. فهذا المقطع من الحوار قد بين الحال التي سيصل لها قوم موسى (عليه السلام) ورخص طلبهم. بعد ذلك عقّبت الآية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ، فالغاية

---

[١] **ظ:الأمثل:الشيرازي،١/٢٤٤.**

[٢] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،١/٢٣٩.**

[٣] **ظ:الأمثل الشيرازي،١/٢٤٧.**

من التعقيب في الآية الكريمة إظهار سوء الحالة التي وصلوا إليها بسبب أتباعهم شـــهواتهم، وعدم تحكيم العقل.

ومن خلال البيان والتعقيب يظهر لنا إن النبي موسى (عليه السلام) كان يعلـــم مـــن الله تعالى أنه ستؤول حالهم الى هذا المآل، لكن أن لم يستجيب الله تعالى لرغبتهم، فـــي تحقيـــق طلبهم، سيكون حالهم أسوء من ذلك؛ لأنهم سيكفرون ويصل بهم الحال الى قتل النبي (عليـــه السلام)؛ وذلك لأنهم معرفون بهذه الأمور.

فالهدف من الحوار الوصول الى حلول ونتيجة من دون تسجيل خسائر، وكـــان النبـــي موسى (عليه السلام) قد ضيق الخناق المتوقع، بالطلب من الله تعالى في تحقيق رغبتهم.

٣. معرفة رؤى الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضـــوع الحوار، وتعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يتلبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار، فليس المقصود منه المجابهة أو الإفحام إذ أن ذلك من باب المناظرة ومحاولة الظهور على الخصم وتعجيزه عـــن الرد. وأن يكون الحوار موضوعياً ومفتوحاً يهدف الى تحقيق غاية شريفة يلتقي عليها المتحاوران.[١]

فالحوار الذي دار بين أهل الجنة وأهل النار لأجل التبكيت والتـــوبيخ، ومعرفـــة رؤى الطرف الآخر، فقال تعالى مخبراً عن ذلك الحوار قائلاً: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ

---

[١] **ظ:الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته و شروطه:أحمد بن سيف،١٥ ، مجتمع اللاعنف: السيد حسن بحر العلوم، ٣٣٦.**

أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ .[1]

البيان:

تخبر الآية أن هناك حواراً يدور بين أهل الجنة وأهل النار وفي ذلك إشارة الى أن هناك يكون تواصلاً في الأخبار بينهم، أما الكيفية التي يتم عبرها التواصل فلم يذكرها.

فالمنادي هو علي (عليه السلام). بعد دخول كلا الفريقين الى مأواهم، بدأ أصحاب الجنة بالحوار مع أصحاب النار، وهذا حال من يفوز، إذا يتفاخر ويبدأ بالحوار مع الخاسرين، والصاحب: هو المقارن للشيء على نية طول المدة، وناظرها المقارنة، إلا أن في الصحبة الإرادة، فقال أصحاب الجنة: وجدنا ما وعدنا الله تعالى على لسان رسله من الثواب، فهل وجدتم ما وعدكم؟ فأجابوا: نعم. وكان الغرض من النداء هو تبكيت الكفار وتوبيخهم.[2]

التعقيب

الآية تحكي عن يوم سيدور فيه حوار بين فريقين، إذ سيحدث الفريق الفائز الخاسرون بأنهم قد أُنجز ما وعدوا به من خير، وبعدها يسألون الطرف الآخر. فيكون جواب أهل النار مقتصراً على كلمة نعم، إذ لم يعقّبوا بكلام غيره، ولم يبينوا الحال الذي هم فيه ولم يصفوه. وذلك لسوء ما هم عليه.

---

[1] **الأعراف: ٤٤-٤٥.**

[2] **ظ:الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام): شاذان القمي، ١٢٩، التبيان:الطوسي، ٤/٤٠٥-٤٠٦.**

وبعد هذا البيان من تصوير الحال الذي عليه الفريقين، وما دار بينهم من حوار، وأسلوب كل واحد منهم في الحوار، عقّبت الآية بأن هناك طرفاً آخر سوف يعلن الحكم بين الفريقين، رغم أن الحوار كان واضحاً أي الفريق الفائز وأيهم الخاسر، فقال تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾.

كانت الغاية من التعقيب، توبيخ قوم فسدوا في الأرض وتكبروا وبلغت أرادتهم الى تغيير طريق الحق، حتى كفروا بوجود حياة أخرى.

٤. ومن الأهداف الأخرى نجد أن هناك حوارات تبحث عن تفاهم متبادل وتعارف أعمق، وأخرى تبحث عن موقف مشترك من قضية بعينها. وبالتالي نجد أن الحوار يهدف الى اكتشاف الحقيقة والتعرف عليها وأن يجري الحوار بتجرد وموضوعية، أما الحوار الذي لا يحمل هذا الوصف فهو عديم الفائدة.[1]

---

[1] **ظ:تجديد الخطاب الديني: علي طاهر،١٦٢.**

المطلب الثالث: الحوار الإسلامي وأسسه:

استعمل الإنسان الحوار في مجال عرض الأفكار وفي مجال الصراع، لتوضيح فكرتـــه. وعندما جاء الدين الإسلامي، كانت بداية دعوته للناس بلغة الحوار.[١] فقال تعـــالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٢] وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[٣]

فإذا كان الإسلام دينا عالميا وخاتم الأديان، فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى تسنم (المركزية الدينية) التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد. إنه ينكر هـــذا القســـر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون. إن دعوة الإسلام الى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤية التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا أذا آمن بالرسل جميعاً.

بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقـــة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التـــي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا تسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤســـس للعلاقـــات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات أن تمنع التفاعل

---

[١] ظ:حقيقة الخلاف بين المتكلمين: علي عبد الفتاح،٢٦ ، مجتمع اللاعنف: حسن عز الدين بحر العلوم،٣٤٥.

[٢] النحل:١٢٥.

[٣] العنكبوت:٤٦.

الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينهما. فجميع الأنبياء كانوا مأمورين بالـذكرى والهداية وإبلاغ الرسالات الإلهية إذ لم يأت الأنبياء كي يخلقوا الدين و يبتـدعوه بـل أرادوا تذكير الإنسان وتنبيهه الى ذلك الحس الداخلي الذي يمتلكه.[١]

والراسم الحقيقي لأسس الحوار الإسلامي هو الله سبحانه وتعالى، كما جاء فـي كتابـه العزيز، ومن خلال أسلوب البيان والتعقيب في الآيات يتضح ذلك بصورة جلية. في الأمثلـة القرآنية: وأسس الحوار الإسلامي هي:

١. الإيمان بالله تعالى، والدعوة الى سبيله، والتعامل في ظل هذا الإيمان بالمُثْل،[٢] كمـا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.[٣]

فالإيمان بالله تعالى من الدعائم التي تجعل المحاور ذا موضوعية وإنصاف في الكلام، إذ سيكون له مبدأ في الكلام، وعدم التقلب والتخبط والتيه في الحـوار، ويتمثـل ذلـك بقولـه تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ

---

[١] ظ:حوار الحضارات:محمد خاتمي، ٧٤.

[٢] ظ:مجتمع اللاعنف:حسن بحر العلوم، ٣٤٦.

[٣] آل عمران: ٦٤.

قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

البيان:

يخاطب الله تعالى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنظر الى الذي مر على قرية، فقيل هو عزير، إذ قال: كيف يحيي الله تعالى أهلها بعدما ماتوا؟ وأراد بهذا الطلب المشاهدة في العين المجردة.[2]

فأماته الله تعالى مائة عام، ثم أحياه كما كان، وسمع نداء من السماء، كم لبثت؟ فقال: يوما، أو بعض يوم. فأجابه النداء أنك لبثت مائة عام في مكانك هذا. فأنظر الى طعامك وشرابك لم تغيره السنون، وأنظر الى حمارك، كيف تفرقت أجزاءه، وتبدد عظامه، فأنظر كيف يحييها الله تعالى؟. وهذا استدلال على طول مماته. واستجابة لطلبه وستكون حجة للناس في البعث. فانظر كيف نحييها، ونركب عظامها، ثم نكسوها لحما. حتى رجع الى حالته الأولى التي كان عليها.[3]

وبعد هذا المشهد والحوار، عقّب الله تعالى بذكر الحوار الذي جرى بينه سبحانه وبين نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، أحب النبي إبراهيم (عليه السلام) أن يعلم علم العيان، كيف يحيي الله تعالى الموتى؟ إذ كان عالماً بذلك بالبرهان والاستدلال. فأستفهم منه على جهة

---

(1) **البقرة:٢٥٩-٢٦٠.**

(2) **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٢/١٦٩.**

(3) **ظ: م.ن:٢/١٧٣-١٧٤.**

التقرير، أولم تؤمن؟ فأجابه إبراهيم (عليه السلام): بلى أنا مؤمن، ولكن سألت هذا لازداد يقينا.[1]

فرد الله تعالى عليه، أن خذ أربعة طيور مختلفة الأجناس، وقطعها واخلط دمها بريشها مع بعضها، وضع كل جزء بجبل، ثم خذ بمناقيرهن وادعوهن بأسمائهن، فسيأتينك سعيا.[2]

في الآية ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صور لنا الله تعالى كيف يُري لعباده أحياء الموتى، وكيف زرع الإيمان في القلب، من خلال الحوار، الذي بين ذلك بصورة جلية. وبعدها عقّب الله تعالى مباشرة بذكر حوار دار بين الله تعالى ونبيه إبراهيم (عليه السلام) وهو أيضا يحمل نفس الصورة الأولى للحوار مع عزير (عليه السلام) فما الغاية من التعقيب بحوار مماثل للأول؟.

في هاتين الآيتين جاء حواران يتحدثان عن كيفية الخلق من جديد، وهومن مبدأ الإيمان بالله تعالى، فبين لنا الحوار الأول أن هناك نماذج من الناس تتساءل عن كيفية الخلق من جديد، وبعدها عقّب الله تعالى بذكر حوار آخر من نفس الصنف يتساءل أيضاً عن كيفية الخلق من جديد، وكانت الغاية من التعقيب بعد البيان في حوارين متماثلين. إذ كانت الصورة الثانية

---

[1] **ظ:م.ن:٢/١٧٧.**

[2] **ظ: مجمع البيان:الطبرسي:٢/١٧٨.**

أكثر تصويراً لمشهد الأحياء، إذ تقطيع اللحم وخلطه بغيره، هو تصوير لموت الإنسان وفناء بدنه الذي يقطعه الزمن، ويختلط بالأرض، فكانت الغاية من الحوار هو إيضاح أهمية الأيمان بالله تعالى عند التحاور مع الآخرين.

٢. التحلي بالأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام ونبذ العصبية، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[١]

وقد وضح البيان والتعقيب في القرآن الكريم أهمية هذه الصفة بالحوار، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.[٢]

البيان والتعقيب:

إن الله سبحانه في هذه الآيات يوضح صفة بعض الناس التي يتلبس النفاق فيها ولا تقول الصدق حتى وأن كان منكراً.

فهذه الآيات تبين الخصائص الروحية للمنافقين وأعمالهم. فكانت شخصيتهم متذبذة ومصابة بازدواج الشخصية، فشكلت خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين. مما شكل صعوبة

---

[١] **النحل:١٢٥.**

[٢] **البقرة: ١٣-١٤.**

في تشخيصهم؛ لأنهم متظاهرون بالإسلام، غير أن القرآن بيّن بدقة مواصفاتهم وأعطى للمسلمين في كل القرون والأعصار معايير حية لمعرفتهم. فالإنسان السالم له وجه واحد، وفي ذاته انسجام تام بين الروح والجسد؛ لأن الظاهر والباطن، والروح والجسم، يكمل أحدهما الآخر.[1]

فمجموعة الحوارات التي دارت، قد أظهرت بصورة جلية صفة يجب أن يتحلى بها الحوار وهي التحلي بالصفات الحميدة، والتكلم عن قناعة وقول الصدق، فهذه جميعاً من الصفات الحميدة. فأن التمسك بالرأي من دون قناعة فهذا التعصب بعينه. لذلك عقّبت الآية الكريمة ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بعد أن بيّنت الآياتين السابقتين حال هذا الصنف من الناس. فعند أتصاف شخص من الناس بالازدواجية، فيدل هذا على عدم الاتزان في شخصيته وبالتالي فإن نتيجة ذلك، استهزاء الاخرين به وخسرانه أمام الاخرين.

٣. جعل الحق والإنصاف والعدل أساس وهدف كل خطاب بين المسلم وغير المسلم، ونبذ أسباب التعصب، مع التمسك باللين والحكمة في الخطاب وجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[2]

---

[1] **ظ: الأمثل: الشيرازي، ٩٤/١.**

[2] **فصلت: ٣٤.**

البيان والتعقيب

نزلت الآية لتصبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على سفاهة الكفار وعلمه الأدب الجميل في باب الدعاء إلى الدين بل في مطلق امور التمدن، و(لا) زائدة لتأكيد نفي الاستواء والمعنى لا مساواة بين الحسنة والسيئة أبدا.[١]

وقال الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) في معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ :((دار القوم ولا تغلظ عليهم حتى كأن عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك من حسن عشرتك له وبشرك له. ويدعو ذلك أيضا عدوك إلى أن يصير لك كالولي الحميم)).[٢] فإن دفع الخصوم بلين ورفق، يُصير من العدو ولي قريب.[٣]

فبيّن الله تعالى في الآية الكريمة أن هناك خصلتان لا تستويان وهما صفة السوء وصفة الاحسان، وبعد ذلك عقّب في بيان السبب الذي من أجله أوجب تقديم صفة الاحسان على السوء؛ لأن ذلك يؤدي إلى تليين القلوب وتهدئة النفوس وعدم المشاحنة بين الطرفين، وبالتالي تتقوى الأواصر بين الاطراف.

٤. عدم التسرع بالمحاورة.[٤]

فقد جاء في القرآن الكريم ذكر داوود (عليه السلام) إذ أتاه الله الملك والنبوة والقوة، ومن الآيات التي تخبرنا عنه ما جاء في سورة ص، فجاء ذكره حتى نتعلم العبر من الغير، فقال

---

[١] ظ: شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، ٢٧٩/٨، تفسير القمي، ٢٦٦/٢.

[٢] التبيان: الطوسي، ١٢٦/٩.

[٣] ظ: مجمع البيان: الطبرسي، ٩/ ٢٣.

[٤] ظ: www.ipc-kw.net :الحوار البناء.

تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾.[1]

البيان:

دلالة الاستفهام على أنه من الأنباء العجيبة، والخصم يقع على الواحد والجمع؛ لأنه مصدر بالأصل، أما المراد من الأخ، فهو أخوة الدين أو الصداقة أو الخلطة. إذ دخل عليها الملكان من غير باب المحراب، ففزع داوود (عليه السلام) لدخولهما عليه من غير الباب، وكان دخولهما ليلاً في غير نظره بين الناس، فقالا له لا تخف أنا خصمان. فحكم داوود (عليه السلام) لطرف من دون سماع الآخر.[2]

---

[1] **ص: ٢١-٢٥.**

[2] **ظ:تفسير جوامع الجامع:الطبرسي،٣/١٩٠، جامع البيان:الطبري،٢٣/١٦٨.**

وقيل أن حكم داوود من جهة، أنه أن كان الأمر على ما ذكرت فقد ظلمك بسؤاله نعجتك الى نعاجه، فأن كثير من الشركاء يظلم بعضهم بعضا، وهؤلاء قليل. فضحك أحد الملكين للآخر، وعرجا للسماء، فتيقن داوود أنا أوقعناه في الفتنة.[1]

التعقيب:

الآيات الكريمات كانت تبين الحوار الذي دار بين النبي داوود (عليه السلام) و الملكين، فكانت الآية تصور لنا المشهد الأول، إذ دخل الخصمان على داوود (عليه السلام) لطلب الحكم على أمر يختصمان فيهما، والذي بدأ في الحوار هو الخصمان على غير العادة، يكون الحاكم هو الذي يطلب من الخصمين البدء بالكلام.

إذن الدخول المفاجئ للخصم بيان، وتكلمهما أولاً، وتهدئة الحاكم بيان آخر، يضفي أن الخصمين، ليس غير الخصوم، وبدأ الخصم بالحديث عن القضية التي من أجلها تحاكما، فبعد ما فرغ المدعي من بيان حقه، ردّ عليه داوود (عليه السلام) حاكماً، لقد ظلمك بسؤال نعجتك. الى هنا انتهى بيان الآية الكريمة، وما كانت ترمي إليه من قصد، وبعدها جاء التعقيب في قوله تعالى على لسان داوود: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾، فالتعقيب أنما جاء ليظهر أن حكم النبي داوود (عليه السلام) استند الى أن كثيراً من الشركاء كان يظلم بعضهم بعضا، أي كثير من الشركاء يطمع أحدهم

---

[1] **ظ:تفسير السمعاني: السمعاني، ٤/٤٣٥-٤٣٦، تفسير الآلوسي: الآلوسي، ٢٣/١٨١.**

بالآخر، وأنتما واحد من هؤلاء، و بعدها عقبت الآية الكريمة بحال داوود (عليه السلام) بعد الحكم، ظنّ أنما فتنّاه، ومعنى ظن: هو ما يحصل عند إمارة، يصل للعلم أن قويت الإمارة و يستعمل معه أن المشددة، ولا يبلغ التوهم أن ضعفت الإمارة.[1] أما الفتن فأصله إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار.[2]

إذن نلحظ أن التعقيب أثبت أن القياس في الحكم يوقع صاحبه في الفتنة. فالبيان والتعقيب في القرآن الكريم ومن خلال موضوع الحوار، أظهرا إشارة قرآنية كامنة في طيات الحوار القرآني. مبينة أن على الحاكم أن يستمع للطرفين عند المحاكمة، ولا يقيس قضية على أخرى، ولا يسرع في الحكم على طرف. فهذه الفكرة أنما وضحتها وقوت معناها مجيء التعقيب بعد البيان.

---

[1] **ظ:مفردات غريب القرآن:الأصفهاني،٣١٧.**

[2] **ظ:م.ن:٣٧١.**

المطلب الرابع: المنهج القرآني للحوار:

إن القيمة في المنهج الإسلامي للحوار تتجلى في ابتعاده عن الذاتية في المضمون الفكري ابتعاداً كلياً، على خلاف القاعدة المتبعة في المنهج العلمي للحوار البشري، التي تؤكد الجانب الذاتي في الالتزام بالفكرة مع إعطاء موقع احتمالي للانفتاح على الفكر الآخر. إذ أن المنهج المعروف في العالم يتلخص في هذه الكلمة (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب).

وأسهم القرآن الكريم في تنظيم الحوار والتعامل مع الطرف الآخر وما يترتب على ذلك من النهي عن فرض الرأي وضرورة الاستماع الى الآخر.[1]

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾.[2]

فالآيتان بمثابة شعار إسلامي، وبيان لقواعد الحوار العقلي المنطقي لا الإسلامي فقط، إذ على المحاور الاستماع للقول وقبلها معرفة خصائص وميزات المتكلم، والابتعاد عن التعصب واللجاجة، واختيار أفضل الكلام وذلك من خلال قوة العقل والإدراك، والبحث عن الحقيقة

---

[1] **ظ:مجتمع اللاعنف دراسة في واقع الأمة الإسلامية:حسن السيد عز الدين بحر العلوم، ٣٤٥.**

[2] **الزمر: ١٧-١٨.**

وعدم الجمود في الفكر والتفكير، وليس الاقتصار على طلب الكلام الحسن، وإنما اختيار الأجود والأحسن من بين الجيد والحسن. وهذا يدفعهم لنيل الأفضل والأرفع.[1]

إذن نستشف من الآية الكريمة هناك قواعد وأسس لابد أن يتحلى بها المتحاورين ولاسيما المخاطب، من حسن الاستماع واحترام قول المتكلم وأن لم يكن يوافق أفكارنا، هذا يبعدنا في الوقوع في الخصومات والمشاحنات، واستيعاب فكرة المتكلم كاملة،

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ ٢٣ ﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ ٢٤ ﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.[2]

يقول صاحب الأمثل في معنى الآية:((وهذا إشارة الى أن عقيدتنا وعقيدتكم متضادتان وعليه – بناء على استحالة الجمع بين النقيضين– فلا يمكن أن تكون الدعوتان على حق، لذا فمن المحتم أن يكون أحد الفريقين أهل هدى، والثاني أسير الضلال. والآن عليكم أن تفكروا في أي الفئتين على هدىً وأيهما على ضلال؟ انظروا الى علامات وخصائص كل منهما، ومدى تطابقها مع علامات الهدى والضلال. وهذا أحد أفضل أساليب المناظرة والبحث، بأن يضع الآخر في حالة من التفكير والتفاعل، وما يتوهمه البعض أن ذلك نوع من التقيّة فهومنتهى الاشتباه).[3]

---

[1] **ظ:الأمثل: الشيرازي،١٥/٤٨-٤٩ ، تفسير القرطبي: القرطبي/ ١٥/ ٢٤٤ ، تفسير الميزان: الطباطبائي، ١٧/٢٥٠.**

[2] **سبأ:٢٣-٢٥.**

[3] **الأمثل:الشيرازي،٢/٣٥٣.**

فنلحظ أن المحاور لم يعطِ صائبة فكره وخطأ الفكر الآخر على أساس القناعة القوية، بل أعطى المسألة على أساس الأدلة العقلية والحجج والبراهين، كما تتساوى صفة الهدى والضلال في التزام هذا بالفكرة إيجاباً من هذا الجانب أو سلباً من الجانب الآخر. فليست هناك شعورية في حركة أجواء الحوار، بل هناك حالة موضوعية تلاحق عناصرها ومفرداتها في حيادي يلاحق الحقيقة أينما كانت من دون تعقيد أو تهويل.

وربما كانت قيمة هذا الأسلوب العلمي، أنه يعتمد على تفريغ الموقف من الأفكار المستبقة التي قد تحول الموقف الى عقدة تفرض نفسها على كل مواطن الحوار، وتشكل حاجزاً يمنع الأطراف من الشعور بحرية الحركة فيما يقبلون وفيما يرفضون.[١]

وهناك وجه آخر في هذا الأسلوب ويتمثل في مخاطبة الخصم بالقناعات الفكرية من خلال عناصر البرهان الذي يملكه في الاحتجاج عليه، ولكنه لا يجعل من هذه القناعات سداً منيعاً يغلق على الموقف أبواب التحرك مع قناعات الآخرين. بل يترك الباب مفتوحاً للفكر الآخر على أساس ما يملكه من أدلة الفكرة التي يؤمن بها ليثبت أنها أفضل وأهدى سبيل.[٢]

ولعل وجه القيمة في هذا الأسلوب أنه يجرد الموقف من حالات التعصب والتزمت التي تحجر الفكرة، فلا تسمع لها بالتحرك مطلقاً في حين هو تمتع الأفكار بقدرة التحرك لتنتج موقفاً إيمانياً واضحاً قويا يتحدى ويقبل التحدي، بحيث يكون جاهزاً لذلك في كل وقت كلما برزت هناك حاجة جديدة للصراع أو كلما استطاع الخصم أن يحصل على دليل جديد للفكرة

---

[١] **ظ:الحوار في القرآن:محمد حسين فضل الله،٣٤.**

[٢] **ظ:الإتقان في القرآن الكريم:السيوطي،٧٥.**

المضادة وهذا هو الذي توضحه لنا الآية الكريمة: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.[1]

فالقضية أن هناك هدىً يجب أن يتبع في الطريق أوفي الغاية وقد يكون إيماننا ومسيرتنا في خط الإيمان هذا على أساس قناعاتنا بأنه الهدى وأن غيره ضلال وانحراف فإذا كان لديكم طريق أفضل أو كتاب أهدى فدلونا عليه لنتبعه لأننا لا نخضع لعقدة ذاتية في هذا المجال.[2]

إن إلغاء الآخر يضع الحوار أمام أبواب مغلقة، ويضع الحوار أمام تعقيدات صعبة. المنهج القرآني في الحوار يضع المتحاورين مهما كانت القناعات في صف واحد. فالحقيقة في لغة الحوار ليست ملكاً لهذا الطرف أو ذاك، الأطراف تشترك في رحلة البحث عن الحقيقة، ربما يكون أحد الأطراف واثقاً كل الوثوق أنه يمتلك الحقيقة، إلا أن منهج الحوار الموضوعي يفرض عليه أن يعد نفسه باحثاً عن الحقيقة ومتعاوناً مع الآخر في الوصول إليها.[3]

وجاء في القرآن الكريم على لسان النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يحاور المشركين: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.[4] لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شاكاً وهو الذي جاء بالحق وصدق به وكان واثقاً كل الثقة أنه يمتلك الحقيقة ويمتلك الهدى والآخر لا يمتلك إلا الضلال.

ولكن منهج الحوار فرض عليه أن يحرك أجواء الحوار في خط الحياد الفكري وعد نفسه لا يمتلك رأياً مسبقاً ولم يدع أنه على هدى والآخر على ضلال بل ساوى بينه وبين الآخر

---

[1] **القصص: ٤٩.**

[2] **ظ: الحوار مع أصحاب الأديان: أحمد بن سيف الدين، ١١٦.**

[3] **ظ: الحوار في القرآن:خليل إبراهيم، ١١٥.**

[4] **سبأ: ٢٤.**

وفي فرضية الهدى والضلال وهذا أرقى أسلوب في الحوار وأذا كان أحدث ما وصلت إليه أساليب الحوار القاعدة التي تقول:(رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) فأن الطرح القرآني والنهج القرآني قد تجاوز هذه القاعدة بمسافات كبيرة جداً وقدم صيغة تمثل القيمة في حيادية الحوار فالصيغة القرآنية في منهج الحوار مع الآخر تقول:(رأي ورأي الآخر يحتمل الخطأ والصواب في درجة واحدة) فأي نهج أرقى من هذا النهج.[1]

ولا شك أن هذا الأسلوب المتقدم جداً له معطياته الكبيرة في مسارات الحوار هذا الأسلوب يجتذب الآخر الى أجواء الحوار ويخفف من حساسيات الآخر الفكرية أو المذهبية أو السياسية ويفتح الآخر على أفكارنا ويدفع الآخر الى التأمل والتفكير بهدوء وروية.

إن غياب المنهج القرآني في الحوار عقد حال التواصل مع الآخر مشكلة الكثيرين أنهم لا يتحاورون وأذا تحاوروا غابت في حواراتهم الأساليب الصحيحة للحوار بحسب ما أكدها المنهج القرآني. يطغى على غالبية الحوارات الفض المطلق للآخر ويطغى على غالبية الحوارات الطرح المسبق للمسلحات التي لا تقبل النقاش حينما نطرح قضايانا العقيدية أو المذهبية أو السياسية والتي نؤمن بها للنقاش والحوار لا ينفي إننا تنازلنا عن قناعاتنا التي تشكلت نتيجة تعصب وتقلد أعمى وأنما هو الأسلوب الأمثل لتحريك الحوار والأسلوب الأكثر نجاحا لتحقيق أهداف الحوار.[2]

---

[1] **ظ: الحوار في القرآن:خليل إبراهيم، ١١٧.**

[2] **ظ: الحوار مع أتباع الأديان: منقذ بن محمود السقار، ١٢٥.**

المبحث الثاني: البيان والتعقيب في أسلوب الاستفهام

المطلب الأول: مفهوم الاستفهام

أولاُ:الاستفهام لغةً

الاستفهام على وزن استفعال جذرها فهم فيقال في اللغة فهمت الشيء بمعنى عرفته وعقلته، وفهمت فلان عرفته، ورجل فهم أي سريع الفهم. واستفهمني الشيء فأفهمته.[١] ويعرف ابن منظور (فهم) ((الفهم معرفتك الشيء بالقلب)).[٢]

إذن الاستفهام في اللغة:يعني طلب فهم الشيء أي السؤال عن الشيء لفهمه.

ثانياً:الاستفهام اصطلاحاً:

الاستفهام هو ((استعلام ما في ضمير المخاطب)).[٣]

والفرق بين الاستفهام والاستخبار قليل؛ لأن كليهما يطلب فيه خبر، فالاستخبار هو سؤالك عن شيء وتجاب عليه. فإن سألت مرة ثانية عن ذلك الشيء لغرض فهمه فيكون ذلك استفهاماً.[٤] إذن يكون الاستفهام استخبار وزيادة.

---

[١] ظ:كتاب العين:الفراهيدي،٦١/٤ ، الصحاح:الجوهري،٢٠٠٥/٥.

[٢] لسان العرب:ابن منظور،٤٥٩/١٢.

[٣] التعريفات:الجرجاني،٣٧.

[٤]ظ:البرهان:الزركشي،٤٢٦/٢.

والفرق بين الاستفهام والسؤال: الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو شك فيه؛ لأنه طلب أن يفهم، أما السائل فقد كون يعلم بما يسأل أولا يعلم، ولفظه لفظ الأمر.[١]

المطلب الثاني: أدوات الاستفهام:

أدوات الاستفهام عشرة، اثنتان منهما حروف (هل والهمزة) والأدوات الأخرى أسماء (أم وما ومن وأي وكيف وكم وأين ومتى).

أولاً: الهمزة:

هي أصل أدوات الاستفهام، ولها صدر الكلام.[٢]ووظيفتها أما: تصور هو إدراك المفرد وتعيينه، نحو قولك: أماء في الإناء أم عسل؟ عالما بحصول شيء في الإناء طالبا لتعيينه. أو تصديق هو إدراك النسبة، أي انقياد الذهن وإذعانه لوقوع نسبة تامة بين الشيئين نحو أقام زيد؟.[٣] بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته مصدقاً للجواب إثباتاً بنعم أو نفياً بلا، ويكثر التصديق في الجمل الفعلية ويقل في الجمل الاسمية، ولا يأتي بعد همزة التصديق المعادلة فإن جاءت بعدها أم تقدر منقطعة وتكون بمعنى بل.[٤] ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.[٥]

---

[١] ظ:الفروق اللغوية:أبو هلال العسكري،٤٨.

[٢] ظ:البرهان في علوم القرآن:الزركشي،٢/٣٦٦،٣٥٠.

[٣] ظ:البليغ في المعاني والبيان والبديع: الشيخ أحمد أمين الشيرازي،١٢٦

[٤] ظ:جواهر البلاغة : الهاشمي، ٧٣.

[٥] البقرة:٤٤.

البيان:

في الآية خطاب لعلماء اليهود، ويرى الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) أن كل طاعة لله تعالى تسمى براً، وإن معنى البر في هذه الآية هو التمسك بالكتاب، فكانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالكتاب، ويتركون هم التمسك به. والكتاب الذي يتلونه التوراة، وقيل أنهم كانوا يأمرون العرب بإتباع الكتاب الذي في أيديهم، فلما جاء القرآن لم يتبعوه.[١]

فكان اليهود يقولوا لأقربائهم من المسلمين اثبتوا على ما أنتم عليه، وهم لا يؤمنون. وجاء الاستفهام للتوبيخ والاستنكار، إذ وبخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وترك أنفسهم عن ذلك. رغم أنكم كنتم تقرؤون التوراة، وفيها وصف لنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).[٢]

والعقل والفهم واللب والمعرفة نظائر، والعقل مأخوذ من عقال البعير، وهو ما يشد به ركبة البعير سمي به؛ لأنه يمنعه من الشرود، كذلك العقل يمنع صاحبه من التمرد والخروج عن طاعته.[٣]

التعقيب:

بعد أن بين الله تعالى بأنه هناك من الناس من يأمر الآخرين بالعمل الصالح، ولا يأمرون أنفسهم، فكان الحق هو إلزام أنفسهم أولاً بالعمل الصالح وبعد إصلاح النفس يبدأ بإصلاح الآخرين وهذا ما يمليه العقل قبل كل شيء، إذ ليس من المعقول أن يأمر شخصاً آخر بعمل ما

---

[١] ظ:التبيان: الطوسي،١٩٧/١-١٩٩.

[٢] ظ:مجمع البيان:الطبرسي،١٩٢/١، الأمثل: الشيرازي،١٩١/١.

[٣] ظ:التبيان: الطوسي،١/ ١٩٩، تفسر السمعاني: السمعاني،٧٣/١.

وهو لا يعمل به. وبعد البيان عقّب سبحانه مستفهماً فقال: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ إذ كان فيه زيادة في البيان وتوكيداً له، إن هذا العمل لا يقوم به عاقل.

ثانياً: هل:

تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ،[1] وتختص بطلب التصديق لذلك لا يكون جوابها إلا (نعم) أو(لا).[2] ولا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة، فامتنع هل زيد قام أم بكر؟ فوقوع المفرد بكر بعد أم الواقعة في الاستفهام دليل على أن أم متصلة. وهي لطلب تعيين أحد الأمرين. وهذا يتعين معرفة أصل الحكم. والاستفهام بـ(هل) لطلب الحكم، فالسائل جاهل به، وأم المتصلة تفيد أن السائل عالم بالكم ويطلب تعيين أحد الأمرين فبالتالي يتناقض الجمع بين هل وأم. وأن جاءت أم مع هل فهي بمعنى (بل) التي تفيد الإضراب نحو:هل جاء زيد أم بكر؟. وكذلك لا تستعمل (هل) في تركيب يتقدم المعمول على العامل؛ لأن فيه مظنة للعلم بحصول أصل النسبة، نحو: هل خليلاً أكرمت؟. ففيه حصول العلم للمتكلم.[3] فمثاله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ

---

[1] **ظ:الإتقان:السيوطي،٢/٢١٣.**

[2] **ظ:شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستراباذي،٤/١٦٥.**

[3] **ظ:جواهر البلاغة: الهاشمي،٧٤.**

اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾.[1]

البيان:

ذكر الله تعالى القصة المشهورة في بني إسرائيل، وتضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه، تحذيرا من سلوك طريقهم فيه. وسبب طلبهم للملك للاستذلال الجبابرة، فقالوا لهذا النبي المبعوث: إن كنت صادقا، فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله تعالى آية من نبوتك.[2]

فكان جواب النبي مستفهما، فلعل أن فرض عليكم القتال لا تفوا بما تقولون. وإنما كان السؤال ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال، وهو كأخذ العهد عليهم.[3]

التعقيب:

بينت الآية موقف بني إسرائيل المنهزم من القتال، فقوله تعالى: (ألم) هو أخبار عما حصل، ومستنكرا ذلك الموقف، وبعدها عقّب بقول النبي لهم، إذ كان جوابه استفهام إنكاري، أي وكأنه كان يعرفهم بأنهم أن كتب عليهم القتال لا يلبون الطلب. فكان التعقيب موضح

---

[1] **البقرة:٢٤٦.**

[2] **ظ:مجمع البيان: الطبرسي، ٢/١٣٩-١٤٠.**

[3] **ظ:م.ن:٢/١٤٠.**

للصورة التي أظهرها البيان. بأنهم لم يقاتلوا. وهو ما أكده ختام الآية ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾

ثالثاً: ما:

يطلب بها شرح الاسم كقولنا (ما العنقاء؟)، فيه طلب شرح الاسم وإيضاح مفهومه، والجواب يكون بلفظ أكثر شهرة، أو شرح حقيقة الشيء أي مفهومه التفصيلي، نحو (ما الحركة؟) أي ما حقيقة مفهوم هذا اللفظ فيجاب بإيراد ذاتيته. ويسأل بـ(ما) عن الجنس نحو(ما عندك) أي أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه كتاب. أو عن وصف نحو (ما زيد؟) وجوابه (كريم).[1]

ومثاله قوله تعالى في القرآن الكريم متحدثاً عن يوم القيامة:﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.[2]

البيان:

---

[1] **ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع: أمين الشيرازي، ١٢٨.**

[2] **القارعة:١-١١.**

القارعة اسم من أسماء القيامة، سميت بهذا الاسم؛ لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة، تردد لفظ القارعة في السورة، لهول ذلك اليوم وفزع الناس به، وتعظيم لشأنها، وتفخيم لأمرها.[١]

والقارعة: التي تقرع الناس بالإفزاع والأجرام بالانفطار والانتشار. (ما القارعة) ما هي؟ أي: أي شيء هي؟ و(ما) استفهام فيه معنى التعظيم والتهويل والتخويف،[٢] (وما أدراك ما القارعة) وأي شيء أعلمك ما هي؟ أي أنك لا تعلم كنهها.[٣] ويقول الزركشي (ت:٧٤٩هـ) (إذا اقترن بالاسم الثاني حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان المناسب الإظهار، كقوله تعالى: (الحاقة ما الحاقة) و(القارعة ما القارعة)، والإضمار جائز كقوله تعالى: (فأمه هاوية وما أدراك ما هيه))).[٤]

وقوله (وما أدراك ما هيه) تفخيم وتعظيم لأمرها، والهاء في (هيه) للوقف.[٥]

وقيل ((أول من ترجح كفة حسناته في الميزان يوم القيامة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ... وتبقى كفة السيئات فارغة لا سيئة فيها؛ لأنه لم يعص الله طرفة عين)).[٦]

وبعدها بدأ الله تعالى بوصف يوم القيامة، فمن شدة ذلك اليوم سيكون الناس كالفراش وقيل: كالجراد المتناثر، وجاء هذا التشبيه لكثرتهم وحالة الانتشار والضعف والتطاير، كما أنه شبه الجبال بالصوف المصبوغ ألوانا؛ لأنها ألوان، ووصفها بالمنفوش وذلك لتطاير أجزاءها،

---

[١] ظ:تفسير القمي: القمي،٢/٤٤٠، التبيان:الطوسي،١٠/٩٤، ٣٩٩.

[٢] ظ:الإتقان:السيوطي،٢/١٨٠، ٢١٤.

[٣] ظ:تفسير الأصفى:الكاشاني،٢/١٤٧٠، تفسير القرطبي: القرطبي،٢٠/١٦٤، البحر المحيط:أبو حيان الاندلسي،٨/٥٠٣.

[٤] البرهان: الزركشي،٢/٤٨٤.

[٥] ظ:مجمع البيان:الطبرسي،١٠/٤٢٩.

[٦] شواهد التنزيل:الحسكاني،٢/٤٧٥.

وبالعدل الإلهي سوف تقابل الطاعات بالمعاصي، فأيهما كان أكثر حكم له به وعبر عن ذلك بالثقل مجازا.[1]

فالذي تخف موازينه فمأواه جهنم، وعبر عن ذلك وقال (فأمه هاوية) فكان العرب ((إذا دعوا على الرجل بالتهلكة، قالوا: هوت أمه؛ لأنه إذا هوى: أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا))،[2] وعقّب الله تعالى بعدها في وصف جهنم، فقال: إنها نار شديدة الحرارة.[3]

التعقيب:

ورد الاستفهام في سورة القارعة أربع مرات، وكانت تحمل دلالة التخويف والتعظيم، فقال: ﴿مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ وفي الآية: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾.

سورة القارعة من السور التي تتحدث عن يوم القيامة، فأراد الله تعالى الأخبار عن ذلك اليوم ووصفه، فابتدأ باسم من أسماء يوم القيامة، وهو (القارعة) لما فيه دلالة الرهبة والخوف، فما وراء القرع أمر هام يريد أن يلفت انتباه الأخريين لأمر مهم.

ورغم ما يحمل هذا الاسم من دلالة التخويف، عقّب الله تعالى باستفهام عن ذلك اليوم، فقال (ما القارعة) ودلالة الاستفهام هنا التخويف والتهويل، فكان التعقيب فيه زيادة بيان للصورة المهولة ليوم القيامة.

---

[1] **ظ:التبيان:الطوسي،١٠/٤٠٠، الكشاف:الزمخشري،٤/٢٧٩.**

[2] **ظ:الكشاف:الزمخشري،٤/٢٨٠.**

[3] **ظ:التبيان:الطوسي،١٠/٤٠١.**

وأضاف مرة أخرى معقبا باستفهام أيضا فقال (وما أدراك ما القارعة)، إذن يوم القيامة ستعرفه كل المخلوقات؛ لأنه يوم عظيم ولم تألف مثله الأبصار والأفكار. وبعد أن عقّب الله تعالى بالاستفهام للفظ (القارعة)، عقّب مصوراً لذلك اليوم، من شدة الخوف سوف تكون الناس كالجراد المتناثر، وهذه الجبال الشامخة ستكون كالصوف المتناثر، وستنقسم الناس على قسمين: قسم سيرضى بعيشته، وهومن ثقل ميزانه، وفي لفظ الميزان دلالة على العدل الإلهي، وما من يأتي بأعمال غير صالحه فسيخف ميزانه ويدخل النار الحامية.

رابعاً: مَنْ:

يطلب بها الأمر الذي يعرض لذي العلم فيفيد تشخيصه وتعيينه نحو (من في الدار؟) فيكون الجواب (زيد).[1] ومثاله قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾.[2]

البيان والتعقيب:

كفر الإنسان: كناية عن شدة غضب الباري (جل وعلا)، ثم يبين الغرور الإنساني الواهي، والذي غالبا ما يوقع صاحبه في هاوية الكفر، فاستفهم من أي شيء خلقه؟[3] ويريد

---

[1] **ظ: التبيان:الطوسي ،١٢٩.**

[2] **عبس:١٧-١٩.**

[3] **ظ:الأمثل:الشيرازي،٤١٨/١٩.**

من هذا الاستفهام أن يعلمه ببداية تكوينه. التي شخصها في الآية اللاحقة حين عقّب بذكر الجواب فقال: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾

خامساً: أي:

يسأل بها عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، وهو مضمون ما أضيف إليه (أي) كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾.[1]

البيان والتعقيب:

بينت الآية الحوار الذي دار بين الفريقين وهما الكفار والمؤمنون، فقال الذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا أنباءه، للذين صدقوا بذلك، مستفهمين لهم وغرضهم الإنكار أي الفريقين خير؟[2] بمعنى أنحن أم أصحاب محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فالمؤمنون والكافرون قد اشتركا في الفريقية وسألوا عما يميز أحدهما من الآخر. فعقّب قائلاً: ﴿ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ فـ(أي الفريقين خير) طلب التمييز أيهم خير من الآخر وهذا واضح البيان، لكن بعد أن عقّب فقد حدد بذلك مواضع التمييز.

سادساً: كم:

---

[1] **مريم: ٧٣.**

[2] **ظ: مجمع البيان:الطبرسي،٦/٤٤٤، البليغ في المعاني والبيان والبديع:١٢٩.**

سأل بها عن العدد نحو قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾.[1] فـ(كم) هنا للسؤال عن العدد أي كم آية آتيناهم أعشرين أم ثلاثين والغرض من السؤال التقريع والتوبيخ.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾.[2]

البيان والتعقيب:

المراد من الآية الكريمة أن الله تعالى مالك الحياتين الدنيا والآخرة، فيعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء، وأمر الشفاعة ضيق، فالملائكة مع قربتهم لو شفعوا لأحد، فلن تنفعه إلا أن يأذن الله تعالى في ذلك. والشفاعة من الشفع وهو ضم الشيء الى مثله.[3]

و(كم) هنا مفردة اللفظ، ومعناها الجمع، إذ قال سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ وعقّب بعدها بالجمع وقال سبحانه: ﴿ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ ﴾.[4]

---

[1] **البقرة:٢١١.**

[2] **النجم:٢٥-٢٦.**

[3] **ظ: الكشاف: الزمخشري، ٣١/٤، مفردات غريب القرآن: الأصفهاني، ٢٦٣.**

[4] **ظ:البرهان: الزركشي، ٣٢٩/٤.**

فالآية الأولى قد بينت المعنى من المراد الإلهي، بأنه الأول والآخر، وأنه واهب الـنعم، ومالك الوجود. فهو كل شيء. منه بدأت الأشياء وإليه تنتهي. فهذا البيان قد وضح أن الحكـم بيد الله تعالى، فأن كان الحاكم الله تعالى فأنه حكمه عدل، وعدله حاصل، فلماذا عقّب مستفهما بـ(كم)؟ أنه تعالى لما استفهم بـ(كم) أراد أن يظهر للإنسان مدى رحمته سبحانه، إذ جعـل مبدأ الشفاعة رحمة للعالمين في النجاة من النار، فهي نعمة للذي جرى عليه العـدل الإلهـي، وشرف للذي منحه الله تعالى في الشفاعة للآخرين، فأن من لم تشمله الرحمة الإلهية لو اجتمع الجمع في تخليصه من حكم قضى نفاذه عليه، لا يستطيع ذلك الجمع فكه. فـنلحظ أن البيـان والتعقيب ومن خلال أداة الاستفهام (كم) أن يوضحا مفهوم الشفاعة ومبدئها وآلية تحققها.

سابعاً: كيف، أين، متى، أيان:

((يسأل بـ(كيف) عن الحال وبـ(أين) عن المكان، وبـ(متى) عن الزمان ماضيا كان أو مستقبلا، وبـ(أيان) عن الزمان المستقبل، وقد تستعمل في مواضع التفخيم))[1]، نحو قولـه تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾.[2]

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[3]

---

[1] **البليغ في المعاني والبيان والبديع: أمين الشيرازي،١٢٩.**

[2] **القيامة:٦.**

[3] **البقرة:٢٨.**

سبب النزول:

نزلت في كفار قريش واليهود، إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف تكفرون بالله الذي دلكم على طريق الهدى، وجنبكم إن أطعتموه سبل الردى.[١]

اللغة:

كفر: الكفر هو ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة.[٢]

وموت: قيل في معناه، هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات، أو زوال القوة الحاسة، أو زوال القوة العاقلة وهي الجهالة، أو الحزن المكدر للحياة، أو المنام.[٣]

البيان:

كيف: استفهام عن الحال، وهي بمعنى التوبيخ المستعتب، وتأنيب مسترجع من خلقه من المعاصي الى الطاعة، ومن الضلالة الى الإنابة. وفيها إنكار وتعجب.[٤] الخطاب مع الذين كفروا، لما وصفهم بالكفر وتوابعه، خاطبهم على طرقة الالتفات إنكار لكفرهم وتوبيخا لهم.[٥]

---

[١] **ظ:تفسير العسكري: العسكري، ٢١٠.**

[٢] **ظ:المفردات: الراغب: ٤٣٣.**

[٣] **ظ:م.ن: ٤٧٦.**

[٤] **ظ:التبيان:الطوسي، ١/١٢٤، ١٢١ ، جوامع الجامع:الطبرسي، ١/٩٠.**

[٥] **ظ:كنز الدقائق:المشهدي، ١/٢١٠.**

قوله: (وكنتم أمواتا) الواو: واو الحال، أي في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم، وقوله (فأحياكم) وعطف بالفاء؛ لأن الإحياء الأول يعقب الموت بغير تراخ، أخرجكم أحياء. (ثم يميتكم) يقبركم في هذه الدنيا. (ثم يحييكم) في القبور، فينعم المؤمن، ويعذب المسيء. (ثم إليه ترجعون) فتحيوا للبعث يوم القيامة. وكان العطف بـ(ثم)؛ لأن هناك تراخي بين مرحلة وأخرى.[1]

وقيل: (كنتم أمواتا يعني خاملي الذكر، دارسي الأثر، فأحياكم بالطهور والذكر ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث)).[2]

التعقيب:

بدأت الآية الكريمة باستفهام تعجب، وهو سؤال الكافرين عن سبب كفرهم بالله تعالى، وبعدها عقّب بذكر قدرته في بيان دورة الحياة التي يمرون بها، وهذا الاستفهام يثبت واجب الوجود، فالمدلول الذي يحمله كيف تكفرون بالله تعالى وهو الذي أخرجكم للحياة، ويميتكم بعدها، وبعدها يحيكم في القبور، ويميتكم ويحيكم للبعث.

إذن نلحظ من ظاهرة التعقيب في أسلوب الاستفهام يظهر لنا مدى جحد الكافرون لله تعالى، وهو لشيء عجيب وهم يدركون أن الحياة وهي بهذه الدقة لا يمكن أن تكون من غير صانع.

ثامناً: أنى:

---

[1] ظ: تفسير العسكري: العسكري، ٢١٠ ، جوامع الجامع: الطبرسي،١/٩٠.

[2] التبيان:الطوسي،١/١٢٢.

ولها معنيان:

١. **كيف:** إن جاءت أنى بمعنى كيف لا بد أن يكون بعدها فعل نحو قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[١]

البيان والتعقيب:

بين الله تعالى في الآية الكريمة منزلة المرأة وتمركزها في الأسرة، فشبهها بالمزرعة، وهذا ما دل عليه لفظ (حرث)، فالحرث تستعمل للأرض، يقال: حرث الأرض للزراعة، وتأتي بمعنى كسب المال وجمعه، والمرأة حرث الرجل أي يكون ولده منها. وبهذا تكون المرأة أكثر الوسائل حفاظاً لحياة النوع البشري.[٢]

بعد أن بين الله تعالى منزلة المرأة من الرجل ومكانتها، عقّب فقال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ فعقّب الله تعالى لتحديد الموضع، فالغاية من إيتاء النساء للحفاظ على الفرد من الوقوع في الحرام، وللاستفادة في تكثير الجنس البشري. فإن مجيء المرأة في دبرها على قول من يرى مجيء (أنى) بمعنى (من أين)، لا يثمر منه شيء، ويكون غير مطابق لمعنى الحرث، الذي يأتي للاستفادة من المحروث.

---

[١] **البقرة: ٢٢٣.**

[٢] **ظ:التبيان: الطوسي،٢/٢٢٢، الأمثل: الشيرازي، ٢/١٣٣.**

إذن مجيء التعقيب بعد البيان ومن خلال أداة الاستفهام (أنى) حدد لنا حكماً، اختلف فيه المفسرون. والآية جاءت عامة وحددتها الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾.[1]

٢. **من أين:** [2] كقوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.[3]

البيان والتعقيب:

عندما حملت حنا بالسيدة مريم (عليها السلام) نذرت ما في بطنها خادماً للمعبد. فلما أنجبت أنثى أوفت بنذرها وخاطبت ربها، بأني أنجبت أنثى والأنثى غير الذكر، لكن الله تعالى قبلها ورضي سبحانه بالنذر الذي نذرته حنا للعبادة في بيت المقدس. وجعل نشوءها نشوءا حسنا. فجعل النبي زكريا (عليه السلام) متكفل بتربيتها. وكان زكريا يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم، وكلما دخل عليها النبي زكريا (عليه السلام) وجد عندها فاكهة في غير حينها، فسألها متعجباً، من أين لكِ هذا. فأجابته أنه من عند الله تعالى.[4]

---

[1] **البقرة:٢٢٢.**

[2] **ظ: البليغ في المعاني والبيان والبديع: أمين الشيرازي، ١٣٠.**

[3] **آل عمران:٣٧.**

[4] **ظ:مجمع البيان: الطبرسي، ٢/٢٨٢-٢٨٤.**

بعد أن بين الله تعالى المراحل التي مرت بها الطاهرة مريم (عليها السلام)، عقّب الله تعالى في ذكر حادثة جرت بينها وبين النبي زكريا (عليه السلام)، فقال لها زكرياً مستفهماً عمّا وجد عندها:(يا مريم أنى لكِ هذا)، فأراد الله تعالى بهذا الاستفهام أن يبين نعم الله تعالى على السيدة الطاهرة مريم (عليها السلام).

والاستفهام الحقيقي هو طلب الفهم ويخرج في أحيان الى معنى المجازي حين لا يراد به طلب الفهم، إذ إن للغرض المجازي فوائد تأخذ المتلقي الى معاني أخرى أرادها النص القرآني، وهنا تسهم تلك الأغراض المجازية في زيادة التأمل لدى الإنسان فقد يخرج الاستفهام مجازياً الى خمسة وعشرين غرض منها:(الاستبطاء والتعجب والتنبه الى الضلال والوعيد والتقرير والإنكار والتهكم والتحقير والتهويل والاستبعاد وأغراض أخرى).[1] والآيات التالية تبين كيف خرج الاستفهام الى معناه المجازي كقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ؛[2] لأنه لا يغيب عنه إلا بإذنه فلما لم يبصره تعجب من حال نفسه في عدم إبصاره إياه. وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ .[3] أي (الله كاف عبده)؛ لأن إنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات، وهذا المعنى مراد من قال الهمزة فيه للتقرير، أي لحمل المخاطب على الإقرار بما دخله النفي وهو (الله كاف) لا بالنفي وهو (ليس الله بكاف) فعند لا

---

[1] **ظ:البليغ في المعاني والبيان والبديع: أمين الشيرازي،١٣٢-١٣٤.**

[2] **النمل:٢٠.**

[3] **الزمر:٣٦.**

يجب أن يكون التقرير بالحكم الذي دخلت عليه الهمزة بل بما يعرفه المخاطب إثباتا أو نفيا).[1]

وباختصار يمكن تقسيم أدوات الاستفهام بحسب الطلب على ثلاثة أقسام:((الأول: ما طلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو (الهمزة). والثاني: ما يطلب به التصديق فقط، وهو (هل). والثالث: ما يطلب به التصور فقط، وهو ألفاظ الاستفهام الأخرى)).[2]

المطلب الثالث:فوائد الاستفهام:

١. الإثبات والنفي: ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب قد حصل عنده علم ذلك الإثبات أو النفي فيستفهم عنه،

---

[1] **ظ:البليغ في المعاني والبيان والبديع: أمين الشيرازي،١٣٣.**

[2] **جواهر البلاغة: الهاشمي، ٧٢.**

ويكون ذلك الاستفهام لغرض التقرير، فهذا أسلوب بديع انفرد بـــه خطـــاب القـــرآن الكريم، ويختلف عن كلام البشر. [1] فمثال الإثبات قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾. [2]

البيان:

بين الله تعالى في هذه الآية أنه لا يستحق العبادة سواه، وأقسم بأن يبعثهم من بعد مماتهم، أما الاستفهام في قوله ((ومن أصدق من الله حديثاً)) فهو ((تقرير في صورة الاستفهام)). [3]

ومعنى ذلك أنه لا أحد أصدق من الله تعالى في الخبر الذي يخبر به من حيث لايجـــوز عليه الكذب؛ ((لأنه لا يكذب إلا محتاج يجتلب به نفعاً، أو يدفع به ضرراً)). [4]

التعقيب:

بين الله تعالى أنه الموجود الوحيد المتفرد بذاته، وتوعد أنه سوف يجمـــع الخلـــق يـــوم القيامة، وهذا الجمع لا شك فيه. وبعد هذا البيان عقّب قائلاً: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾. [5]

مستفهماً عن الشخص الذي يكون أصدق منه الله تعالى في الحديث. وأراد من الاستفهام هـــو التقرير، أي لا يوجد أحد أصدق منه تعالى، وكان هذا التعقيب أثباتاً للكلام الذي سبقه، أي أن الله تعالى سيجمع الناس في ذلك اليوم لا محالة.

---

[1] **ظ:البرهان:الزركشي،٢/٣٢٧.**

[2] **النساء:٧٨.**

[3] **التبيان:الطوسي،٣/٢٨٠.**

[4] **ظ:م.ن: ٣/٢٨٠.**

[5] **النساء:٧٨.**

ومثال النفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾.[1]

البيان:

الاستفهام استفهام تقرير وتقريب، قيل أن الإنسان كان مقدور غير مذكور، فكان ذرات وجود الإنسان متناثرة في أنحاء الأرض، بين الماء والهواء، وبهذا اختفت المواد الأصلية لوجوده، وضاع بينها ولا يمكن ذكره مطلقاً، وبداية خلقه من نطفة أخلاط، وبعدها نختبره. وهو إشارة لوصول الإنسان الى مقام التكليف والتعهد وتحمل المسؤولية والاختبار والامتحان، وهي كرامة الله تعالى للإنسان، ولذلك أشار في نهاية الآية الى العين والأذن؛ لأنها وسائل المعرفة التي يتم بها الحصول على التكليف.[2]

التعقيب:

أستفهم الله تعالى في بداية سورة الإنسان، هل كان هذا المخلوق في زمن معين شيء موجود؟ الله تعالى أعلم العالمين، فلماذا يسأل هذا السؤال؟

وعندما أستفهم الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن وجود الإنسان في فترة معينة، كان لغرض التقرير، وهو بيان أن هذا الموجود في فترة من الزمن لم يكن موجوداً، وبعدها عقّب بالإجابة عما استفهم فذكر كيف خلقه من أضعف الأشياء، الى أن جعله يسمع ويبصر.

فأفاد البيان شد انتباه ذهن المتلقي، الى أصل الإنسان الذي كان معدوم الوجود. وذلك بالاستفهام حتى يفكر بكيفية خلقه، وبعدها عقّب بذكر مراحل خلق الإنسان، فبدايته ضعيفة،

---

[1] **الإنسان: ١-٢.**

[2] **ظ: التفسير الأصفى، الكاشاني، ١٣٨٣/٢، الأمثل: الشيرازي، ٢٤٣/١٩-٢٤٥.**

ومنحه السمع والبصر حتى يختبره. فكان البيان ينفي وجود الإنسان في هذا الوجود قبل خلقه. والتعقيب جاء ليصور ما نفاه البيان.

٢. التعميم: فبناء الاستفهام على أمر قبل ذكر الجواب، يفيد التعميم، نحو:(من جاءك؟ فأكرمَه) بنصب (أكرم) فإنه لما قال قبل ذكر جواب الاستفهام (أكرمه).[١]

فالبيان والتعقيب يظهر لنا فائدة التعميم بالاستفهام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.[٢]

البيان:

قيل أنها نزلت في رجل يقال له (حبيب بن ضمرة) من خزاعة، وكان مصابا ببصره، فخرج الى المدينة، فمات في الطريق، فقال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو وافى المدينة لكان أتم أجرا، فنزلت هذه الآية فيه.[٣]

المراغم والمهاجر واحد، يقال: راغمت فلان، بمعنى هجرته وعاديته، أي أنك لا تبالي له، وإن لصق انفه بالتراب. وسمي المهاجر مراغما؛ لأنه عندما يسلم رجل ما عادى قومه وهجرهم فسمي خروجه مراغما، وسمي مسيره الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هجرة.[٤]

---

[١] **ظ: البرهان:الزركشي،٢/٣٢٧.**

[٢] **النساء:١٠٠.**

[٣] **ظ:معاني القرآن: النحاس،٢/١٧٥، أسباب نزول الآيات: الواحدي،١/٢٨٤.**

[٤] **ظ: معاني القرآن: النحاس، ٢/١٧٤-١٧٥.**

فتشير الآية الى أن الذي يهاجر في سبيل الله تعالى، أي على طريق دين الله تعالى ومنهاجه، الى أي نقطة من نقاط الأرض الواسعة، سيجد كثير من الأماكن الآمنة الواسعة ليستقر فيها. وسعة في الرزق، وبعدها تشير الى الجانب المعنوي الأخروي للهجرة، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله سبحانه.[1]

التعقيب:

عقّب الله تعالى في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾، الخارجين من بيوتهم وهاجروا هم القليل من أهل مكة، والذين ماتوا أثناء الهجرة هم أقل منهم. فمجيء الاستفهام هنا أفاد التعميم، أي عمم كل من هاجر. وقوله ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾ أفاد التعميم أيضا. وبيّن جزاء الذين هاجروا ابتغاء دين الله تعالى، بأن الأرض تشبه بعضها بعض، وسيجد سعة. وهذا البيان معمم لكل الذين هاجروا، بعد ذلك عقّب الله تعالى بحكم آخر أخص من الأول ولكنه معمم لكل الذين يموتون. أن الذين يهاجرون لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأدركه الموت، فأن ذلك محسوب عند الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلاَ

---

[1] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٣/١٧١-١٧٢، الأمثل:الشيرازي،٣/٤١٢-٤١٣.**

حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾.[2]

فالبيان والتعقيب قد أظهر لنا أن حكم أعمال العباد محسوبة عند الله تعالى فما من شاردة ولا واردة إلا في كتاب محفوظ، كما أن للأحكام درجات، فالمهاجر من أجل الدين له سعة في الأرض، ومن يهاجر من أجل الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) له أجر أعظم؛ وذلك لأن مشقته أكثر فقد يصل به الحال الى موته.

٣. قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام.[3]

تأتي ظاهرة البيان والتعقيب بأسلوب الاستفهام متميزة لقدرتها على عمل شيئين في ذهن المتلقي:

الأول: تهيئته بتحفيز انتباهه لاستقبال الفكرة ومعرفة مراميها في النص القرآني، إذ يكون البيان بالاستفهام حافزاً مهماً.

الثاني: يأتي التعقيب على الاستفهام نفسه خاصاً، لتوضيح الفكرة عند المتلقي، ومن هنا كان الاستفهام في النص القرآني ببيانه وتعقيبه معجزاً؛ لأنه شد انتباه السامع وهيأه لعملية التلقي ثم وضحه له، وقد جاء في القرآن الكريم كثيراً، مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾.[4]

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) النمل: ٧٥.

(٣) ظ: البرهان: الزركشي، ٣٢٨/٢.

(٤) المعارج: ٣٦-٣٨.

سبب النزول:

ويرجع السيد الطباطبائي سبب نزول الآية ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ الى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي عند الكعبة ويقرأ القرآن فكان المشركون يجتمعون حوله حلقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه، ويقولون إن دخل هؤلاء فسندخلها قبلهم فنزلت الآية.[1]

البيان:

معنى عزين في الآية الكريمة: ((هي جمع عزوة، أصله من عزوته فاعتزا أي نسبته فانتسب وهم الجماعة المنتسب بعضهم الى بعض إما في الولادة أوفي المظاهرة. وعزين تعني الجماعة التي يتأسى بعضهم ببعض)).[2] ويقول فخر الدين الطريحي في تفسيره معنى عزين ((جماعات متفرقين فرقة فرقة؛ .... لأن كل فرقة تعزى الى غير ما تعزى إليه الأخرى)).[3]

في الآيات الكريمات ورد الاستفهام مرتان، الأول في آية رقم ستة وثلاثين ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ بالأداة (ما) وهو استفهام إنكاري بمعنى: أي شيء للذين كفروا بتوحيد

---

[1] ظ:تفسير الميزان: الطباطبائي، ٢١/٢٠ ، تفسير أبي السعود: أبي السعود، ٩، ٣٤، تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان، ٣٩٩/٣-٣٤٠.

[2] مفردات غريب القرآن:الراغب الأصفهاني، ٣٣٤.

[3] تفسير غريب القرآن: فخر الدين الطريحي، ٥٠ ، ظ: تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي، ٤٧٤/٣.

الله وجحدوا نبوتك ينطلقوا نحوك مسرعين. وإنما أنكر عليهم الإسراع إليه؛ لأنهم أسرعوا إليه ليأخذوا الحديث منه ثم يتفرقون عزين – قعود– بالتكذيب عليه.[1]

والاستفهام الثاني في الآية رقم ثمانية وثلاثين ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾، فالاستفهام هنا بالهمزة وهو استنكار على قولهم إنْ دخل أصحاب محمد الجنة، فإنا سندخلها قبلهم.[2]

بينما صاحب الميزان يُرجع وجه الاستنكار الى ما الذي يحملهم على أن يحتفوا بك ويهطعوا عليك؟. هل طمع كل منهم لدخول جنة النعيم وهو كافر فلا مطمع للكافر في دخول الجنة. ونسب الطمع إلى كل امرئ منهم ولم ينسب إلى جماعتهم بأن يقال: (أيطمعون أن يدخلوا ....) كما نسب الاهطاع إلى جماعتهم فقيل: مهطعين؛ لأن النافع من الطمع في السعادة والفلاح هو الطمع القائم بنفس الفرد الباعث له إلى الإيمان والعمل الصالح من دون القائم بالجماعة بما أنها جماعة فطمع المجموع من حيث أنه مجموع لا يكفي في سعادة كل واحد.[3]

التعقيب:

فالبيان والتعقيب بأسلوب الاستفهام، يعطي إشارة الى أن المراد بالذين كفروا في قوله:(فما للذين كفروا) قوما من المنافقين آمنوا به (صلى الله عليه وآله وسلم) ظاهراً ولازموه ثم كفروا، وهذا ما يدل عليه مجمل النص، إذْ إن الكافرين– وهو ما عرف بأنه الجاحد لوجود الله وينكر الإسلام ونبوة محمد– لا يتجمعون حول الرسول طمعا في بلوغ الجنة وإنما من عُرف بهذه الصفة هم النافقين، فهم يتظاهرون بالإسلام ويجحدونه في قلوبهم وتجمعاتهم.

---

[1] **ظ:التبيان : الطوسي ، ٢٧/١٠ ، تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي، ٢/ ٣٨٦.**

[2] **ظ: التبيان:الطوسي، ٢٨/١٠.**

[3] **ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي،٢٠/٢٠**

وقوله تعالى خير دليل في وصف المنافقين: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.[1]

فهيأ البيان والتعقيب بالاستفهام، الى إضاءة الذهن وبيان موقف الباري (عز وجل) من هؤلاء. فنلحظ أن الله تعالى عندما استفهم بـ(ما) وهو بيان حقيقة تجمع الكافرين جماعات حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حمله عليه إفراطهم في عداوته ومبالغتهم في إيذاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن ((من دلالات (ما) بيان الحقيقة)).[2] وبهذا يكون الاستفهام قد خرج عن حقيقته كونه صدر ممن يعلم ويستغني عن طلب الفهم، وهذا ما ظهر من خلال البيان والتعقيب.

المطلب الرابع: أقسام الاستفهام:

ينقسم الاستفهام على قسمين، الأول بمعنى الخبر والآخر بمعنى الإنشاء:

الأول:الاستفهام بمعنى الخبر: وهو ضربان:

---

[1] **التوبة:٦٤-٦٦.**

[2] **البليغ في المعاني والبيان والبديع: أحمد أمين الشيرازي،١٢٨.**

١) استفهام نفي ويسمى استفهام إنكار؛ لأنه يطلب إنكار المخاطب، ومثاله قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾.[١]

البيان:

الآية الكريمة تحمل تنبيه أن جزاء الكافر هو العقاب، ولا يمكن أن ينقذهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من النار؛ لأنهم قطعوا كافة طرق الاتصال بالله تعالى ولم يبقوا أي سبيل لنجاتهم. وجاء بالاستفهام مرتين تأكيداً، للتنبه على المعنى.[٢] وهو أنكار واستبعاد إنقاذ من حق عليه دخول النار؛ لأن ثبوت كلمة العذاب وجب دخولها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[٣] ويكون الإنقاذ من النار بالسعي في دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الإيمان، وفيها دلالة أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه.[٤]

وقيل أن في السياق إضمار دل عليه قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾، والتقدير: (أفمن حقت عليه كلمت العذاب ينجومنه).[٥]

التعقيب:

---

[١] **الزمر: ١٩.**

[٢] **ظ: التبيان: الطوسي، ١٧/٩، الأمثل: الشيرازي، ٥٠/١٥.**

[٣] **البقرة: ٣٩.**

[٤] **ظ: التبيان: الطوسي، ٢٦٢/٦.**

[٥] **ظ: الميزان: الطباطبائي، ٢٥١/١٧.**

ملخص معنى الآية هو: أتنجي الذي حقت عليه العقوبة؟ ولكن الله تعالى جعل في الآيـــة استفهاميين، فالاستفهام الأول عند السكوت عنده سوف لا يفهم منه المراد. وهو (أفمن حـــق عليه كلمة العذاب؟) ولكن يصح المعنى بإتمام الجملة بعد رفع الضمير المنفصل فيكون المعنى (أفمن حق عليه كلمة العذاب تنقذه من النار؟)، فيكون أفاد الاستفهام لطلب الفهم.

لكن عندما عقّب الله تعالى قائلا: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾، وهو تعقيب باستفهام، أفـــاد إنكار المخاطب، فيكون التعقيب بالاستفهام أفاد معنى النفي بالإنكار على المخاطب فعل هـــذا الأمر.

والإنكار قسمان إبطالي وحقيقي.

القسم الأول: وهو الإبطالي، ما بعد الأداة منفي، وتصطحبه (إلا) ويكون ما بعدها غير واقع، ومدعيه كاذب كما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.[1]

البيان:

تبين الآية موقف الذين قيل لهم آمنوا بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما جاء به من عند الله تعالى، كما آمن الناس الذين تعرفونهم باليقين والتصديق بالله تعالى.[2]

---

[1] **البقرة:١٣.**

[2] **ظ:التبيان:الطوسي،١/٧٧.**

فكان ردهم، استفهام بمعنى الإنكار، (أنؤمن كما آمن السفهاء) فهو جواب لكن وضع موضع السؤال، ليوصفوا أتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسفهاء. ومعنى السفيه: ضعيف الرأي، قليل المعرفة بموضع النفع والضر. وأصل السفه: خفة الحلم وكثرة الجهل.[1]

التعقيب:

بينت الآية الكريمة أن الله يدعو الى رحمته، كل إنسان، فهم سواسية عنده سبحانه وتعالى، وهذا ما بينته الآية (إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) فأراد الله تعالى أن تشملهم رحمته، التي شملت كل شيء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.[2]

وبعد أن بينت الآية أن الرحمة الإلهية تشمل كل شيء، عقّبت بذكر جوابهم ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾، فهم منكرين أتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والسبب في أتباع الرسول (صلى الله عله وآله وسلم)؛ لأن أتباعه (صلى الله عليه وآله وسلم) سفهاء.

في الحقيقة أن التعقيب يحمل دلاله تعبر عن جهلهم، فمن يكون جل كلامه تعيب الآخرين، والمفاخرة بنفسه. فهو السفيه حقاً. ويكونون بهذا مسئولون عن اختيار طريقهم. في الابتعاد عن الرحمة الإلهية، وهذا ما يؤكده بقية الآية ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، فهو تعقيب على كلامهم، وجواب لسؤالهم، وتقرير يخبر عن إيمانهم.

---

[1] **ظ:م.ن، ١/٧٧.**

[2] **الأعراف:١٥٦.**

القسم الثاني: وهو الحقيقي ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾.[1]

البيان:

مفهوم الآية، لا يجوز أخذ مال المرأة عندما يراد استبدالها بأخرى، لكن هذا لا يعني جواز أخذ أموالها عند عدم إرادة استبدالها.[2] فتشير الآية الى أن إعطاء شيء للمرأة يكون تمليكاً لها.

وبعد أن بين حقوق المرأة، سألهم سبحانه وتعالى مستنكرا، ومتعجباً، كيف تأخذونه منهن.[3]

التعقيب:

بينت الآية ما للمرأة من حقوق في الأموال. فما يعطيها الرجل من أموال، ولو بلغت ملء جلد ثور، فذلك يدخل في ملكها ولا يجوز أخذ شيء منه. وعدم الإجازة بأخذ الأموال منها، دلت عليها (لا) الناهية في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً﴾. فوضحت الآية الكريمة حد من حدود الله تعالى، فأن لم يتمسك أحدهم بهذا الحد يكون متعدي لحدود الله تعالى. والمتعدي لحدود الله سبحانه. فقد بهت وتحمل أثم ظاهر.

---

[1] **النساء: ٢٠.**

[2] **ظ:التبيان:الطوسي،٣/١٥١.**

[3] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٣/٤٩.**

وبعد هذا البيان الواضح للآية عقّب الله تعالى قائلاً: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾، وهو استنكار لعظيم هذا الفعل. فكان الله تعالى مدافع وبشدة عن حق المظلومين، وكان الغرض من الاستفهام الإنكاري التخويف من الوقوع في هذا الفعل، المتمكن الوقوع في أي عصر وأي مجتمع.

٢) استفهام إثبات ويسمى تقرير، وهو حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده.[١] مثاله قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾.[٢]

البيان:

سبب نزول الآية، قيل أن الوحي احتبس عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مدة خمسة عشر يوم، فقال المشركون أن محمداً قد ودعه ربه. ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه، فنزلت سورة الضحى.[٣]

فالعطاء الرباني سيغدق عليه حتى يرضى، وهذا أعظم إكرام وأسمى احترام من الله سبحانه الى نبيه الحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم)، والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتحقق رضاه في نجاته فحسب، بل رضاته حين تقبل شفاعته في أمته. فالآية تحمل دلاله على قبول شفاعته (صلى الله عليه وآله وسلم)[٤]

---

[١] **ظ:البرهان:الزركشي،٢/٣٣١.**

[٢] **الضحى:٥-٨.**

[٣] **ظ:الأمثل:الشيرازي،٢٠/٢٧٥.**

[٤] **ظ: م.ن:٢/٢٧٨.**

وبعد ذلك بدأ يعدد الله تعالى النعم التي أنعم بها على النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي ثلاث:[1]

١. سخر له عبد المطلب، فرباه بعد وفاة أبيه، وبعد موت جده آواه الى أبي طالب، وكان بتسخير من الله تعالى إذ أشفق عليه.

٢. هدى الخلق الى الإقرار بنبوتك والاعتراف بصدقك بعد أن وجدك مضلول عنك. فضالا هنا بمعنى مضلول.

٣. أغناك بعد فقرك.

لكن عندما عدد النعم عليه، بدأ باستفهام، أفاد التقرير.[2]

التعقيب:

البيان في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ فعطاء الله تعالى لا تحده حدود، فهو شامل على كل نعمة حصل عليها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي سيحصل عليها. لكن بعد ذلك عقّب بعد ثلاث نعم أنعم بها (جل وعلا) على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، بدأها مستفهماً؛ لأنه سبحانه أراد أي يطمئن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال تذكيره بالماضي، إذ أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مقراً عارفاً بأن هذه النعم قد من الله تعالى عليه. فأفاد الاستفهام واستوفى دلالتَه، من خلال البيان والتعقيب بإقرار المخاطب بالأمر.

الثاني: الاستفهام بمعنى الإنشاء: وهو على ضروب منها:[3]

---

[1] **ظ:التبيان:الطوسي، ١٠/٣٦٩.**

[2] **ظ:البرهان:الزركشي، ٢/٣٣٢.**

[3] **ظ: البرهان:الزركشي: ٢/٣٣٨-٣٣٩.**

١. مجرد الطلب وهو الأمر كقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾.[١]

البيان:

حث الله تعالى في هذه الآية على الجهاد، وهو أمر من الله تعالى، على الذين يبيعون الآخرة ويشترون الدنيا، والأمر يقتضي الوجوب، وجزاء الجهاد الأجر الأعظم والحظ الأكبر.[٢]

وبعدها حث سبحانه على تخليص المستضعفين، إذ سألهم عن العذر الذي بموجبه يتركون القتال، مع توفر الأسباب الموجبة للقتال في طاعة الله سبحانه.[٣]

التعقيب:

بين الله تعالى في الآية الأولى وجوب القتال وخص الخطاب بالمنافقين، وبعدها عقّب سبحانه قائلاً: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾، فأستفهم عن سبب عدم قتالهم؛

---

[١] **النساء: ٧٤-٧٥.**

[٢] **ظ:التبيان:الطوسي،٣/٢٥٧، مجمع البيان:الطبرسي،٣/١٣١.**

[٣] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي،٣/١٣٢.**

لأنه أراد أن يأمرهم في القتال، أي يوجبهم على القتال؛ لأنه لا عذر لهم في التخلف، فأمر معقباً بالاستفهام بعد البيان.

٢. النهي كقوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.[١] أي: لا يغرك

٣. التحذير كقوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾.[٢] أي: قدرنا عليهم فنقدر عليكم.

وأوصلها الى سبعة عشر نوع.[٣]

وخلاصة الموضوع يظهر لنا أن البيان والتعقيب في القرآن الكريم له دور فاعل في بيان المراد الإلهي؛ لأنه يهيئ ذهن المتلقي إلى استقبال الذي يصنع حالتي الانتباه للشيء، ومن ثم المعرفة به، ومن ثم فأن البيان والتعقيب بالاستفهام يؤدي وظيفة، إفهامية للسامع وبدلالة أسباب النزول وما ورد عن تفاسير أهل البيت وكتب العامة.

الفصل الثالث: البيان والتعقيب في قضايا العقيدة والأحكام.

---

[١] **الانفطار: ٦.**

[٢] **المرسلات: ١٦.**

[٣] **ظ: البرهان: الزركشي، ٢/٣٣٨-٣٤٤.**

المبحث الأول: البيان والتعقيب في قضايا العقيدة.

المطلب الأول: مفهوم العقيدة.

المطلب الثاني: أهمية العقيدة

المطلب الثالث:موضوع العقيدة

المبحث الثاني: البيان والتعقيب في قضايا الأحكام.

المطلب الأول: مفهوم آيات الأحكام

المطلب الثاني: البيان والتعقيب في آيات الأحكام

المبحث الأول: البيان والتعقيب في قضايا العقيدة.

المطلب الأول: مفهوم العقيدة:

أولاً: العقيدة لغةً واصطلاحاً

العقيدة لغةً:

عقيدة صفة على وزن فعيلة، ووردت لفظة (عقد) ومشتقاتها في القرآن الكريم سبع مرات، مرة واحدة بصيغة الجمع وهي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.[1] ووردت مرتين في صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.[2] وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾.[3] وجاءت بصيغة الاسم أربع مرات في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾.[4] وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾.[5] وقوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾.[6] وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾.[7]

---

(1) **المائدة:١.**

(2) **النساء:٣٣.**

(3) **المائدة:٨٩.**

(4) **البقرة:٢٣٥.**

(5) **البقرة:٢٣٧.**

(6) **طه:٢٧.**

(7) **الفلق:٤.**

والعقد نقيض الحل، فيقال: عقدت الحبل عقداً فانعقد*. وعقد اليمين : أي القسم. ورجل أعقد أي في لسانه عقدة وهو عسر الكلام. ومنه عقد البناء والجمع أعقاد وعقود. وأيضاً عقِد القلادة، بالكسر: وهو ما يكون طوار العنق غير متدل. ويدل على معنى الجمع، فيقال: العقد من الرمل، بكسر القاف: ما تراكم واجتمع وجمعه أعقاد، والعقدة: المكان كثير الشجر أو النخل وتُجمع على عقدات.[1]

ونستنتج من خلال ما قدمه أصحاب المعجمات من معاني (عقد) أنها ترمي لمعنى الجمع أي الترابط والتماسك والشد بين أبعاد الشيء، وبما أن (عقيدة) صفه لعقد، إذن معنى عقيدة في اللغة هي الشيء المترابط مع بعضه البعض، أو ترابط ذلك الشيء مع آخر، إذ لا يتصف بالانحلال ونفوذ الأشياء منه. ومنه أصبح يقال للرجل، ما عقيدتك؟ ويريدون بذلك ما هو الفكر أو الدين الذي تؤمن به. لارتباطه وشده للفكر الذي ينتمي إليه.

العقيدة اصطلاحاً:

العقيدة: (العقيدة هي الأساس الذي تتبني عليه نظرة الإنسان للكون مبدئه وحاله ومستقبله، وعلى هذا الأساس تبتني شخصية الإنسان بتوجهاتها وسلوكها وأهدافها. فالعقيدة في الحقيقة هي التي تبني الإنسان).[2]

وبهذا يكون معنى العقيدة في الاصطلاح: هو الارتباط الوجداني –القلبي أو النفسي– الى جهة معينة –سواء كانت هذه الجهة صالحة أم طالحة، وسواء كانت ديناً أم فكراً أو غيره–

*** أنفرد ابن منظور من دون سواه في تسمية موضع العقد من الحبل فهو معقد و جمعه معاقد. و استند الى الدعاء: أسألك بمعاقد العز من عرشك أي بالخصال التي استحق بها العرش العز أو بمواضع انعقادها منه. ظ: لسان العرب: ابن منظور، ٢٩٦/٣.**

[1] ظ:كتاب العين:الخليل الفراهيدي،١٤٠/١-١٤١ ، الصحاح: الجوهري،٥١٠/٢-٥١١ ، لسان العرب: ابن منظور،٢٩٦/٣-٣٠٠.

[2] دروس في العقيدة: مصباح اليزدي، ٨.

سواء كان المعتقد يعمل بقواعدها أم لم يعمل. وخير دليل ما نجده في كتب أهل العقائد عبارات منها (عقيدة قدم القرآن) و(عقيدة التجسيم)[1] وغيرها.

إذن العقيدة في المفهوم الإسلامي: تعني الانتماء لدين معين أو لمذهب ديني.

المطلب الثاني:أهمية العقيدة:

[1] **ظ: أوائل المقالات: الشيخ المفيد، ٣٧٩.**

كثيراً ما نلحظ الإنسان بمختلف الأديان يفكر في هذا الكون ومنشأه، فهل خُلِق عن عبث أم عن أرادة إلهية؟ وكيف كان الكون قبل الخلق؟ وأين كان الله (جل وعلا)؟ ومتى يوم القيامة؟ وما ذلك اليوم؟ وكيف يجمع الله جميع المخلوقات؟ ولماذا خلق مخلوقات مختلفة الصور والأنواع والأشكال؟ وغيرها كثير من الأسئلة التي تدور في أذهان الناس جميعاً أو ما يدور في ذهن أحدهم من دون سواه، فأين يجد السائل جواب ما يدور في خاطره من أسئلة؟ فكثيراً ما نجد في الأخبار الماضية أن تطرح أسئلة في الحوارات التي تدور بين الأنبياء وبين عامة الناس، أو بين الأنبياء وأصحاب الأديان الأخرى، وغالباً ما تكون هذه الأسئلة عن كيفية الله سبحانه وعن النشأة والمعاد وعن الأنبياء، فكان الأنبياء يجيبون على تلك الأسئلة. وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.[3] وغيرها كثير.

إذن أهمية العقيدة تكمن في ((معرفة مبدأ الإنسانية ومصيرها، والغاية التي خلقنا من أجلها، وكيفية سلوك الطريق الأفضل لتحقيق السعادة والحياة الكريمة في الحياة الدنيا وما بعدها)).[4]

---

[1] **النبأ: ١-٢.**

[2] **الأعراف: ١٨٧.**

[3] **الإسراء: ٨٥.**

[4] **عقائدنا: طارق محمد علي، ١٤.**

وعندما كان الإنسان أفضل المخلوقات، وما يتميز به من بعد روحي ومعنوي إذ يحمل في جوانبه الحب والبغض والأمل واليأس والحزن والفرح وطموحه في البناء الحضاري على المستويين المادي الدنيوي والوجودي الملكوتي.[١] فعلى صعيد المستوى المادي أستطاع الإنسان أن يعمر الأرض حتى بلغت أعلى درجات التطور، فغاص البحار وصعد الفضاء لاكتشاف أسرارهما، وكل ذلك بفضل ما أودعه الله سبحانه من عقل مدبر وطموح فياض.[٢]

إذن تبرز لنا أهمية جديدة وهي عقيدة الحب في التطور وبغض التراجع كانت دافعاً للإنسان في التقدم نحو الأمام حتى وصل الى أعلى المستويات من دون بقية المخلوقات. وعقيدة الأمل بمستقبل مشرق كان دافعاً لرفض اليأس والتراجع، وهكذا دواليك فأن لكل شيء في الوجود عقيدة ومن هنا يتبين لنا أهمية جديدة من مهمات العقيدة.

أما المستوى الوجودي الملكوتي، فقد بعث الله عز وجل الأنبياء والمرسلين ومعهم كتب سماوية تحمل القانون الإلهي لتشريع السلوك الإنساني، وأخلاقياتهم، وذلك لجعل الإنسان خليفته في الأرض.[٣] قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

---

[١] **ظ:لمحات في أصول العقيدة الإسلامية: السيد فاضل الموسوي، ٣/٧.**

[٢] **ظ:م.ن: ٣/٨.**

[٣] **ظ: م.ن، ٣/ ٨.**

ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.[1] والآية تبين لنا الخليفة الحق ((وهومن يحسن التصرف في إدارة شؤون الأرض والاستفادة من خيراتها في بناء وجوده المتكامل)).[2]

ومن التشريعات القانونية التي أنزلها الله هو عدم العمل لأحد المستويين – الدنيا والآخرة– على حساب الأخرى، فقال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾.[3] وهذه أيضاً أهمية أخرى من مهمات العقيدة. إذ من كانت عقيدته سليمة وصافية من الشوائب سترشده للطريق الصحيح والأفضل، وبذلك يكون خليفة، وما أسعده عندها.

---

[1] **النور:٥٥.**

[2] **لمحات في أصول العقيدة الإسلامية: السيد فاضل الموسوي، ٩/٣.**

[3] **القصص: ٧٧.**

المطلب الثالث:موضوع العقيدة:

معلوم أن البشر منهم من يؤمن بالإله الواحد الخالق، ومنهم من يؤمن بقدرة الطبيعة على الإبداع، وينكرون وجود خالق للكون، ويطلق سابقاً على الشخص الذي يعتقد بهذا الاعتقـــاد، اسم (الطبيعي أو الدهري أو الزنديق أو الملحد) أما في الوقت الحاضر يسمى (المادي).[١]

ولكن دين الإنسان هو دين الفطرة أي عبادة الله تعالى، كما في قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[٢]

وموضوع العقيدة أصول الدين، والأصول في جميع الأديـــان هـــي ثـــلاث (توحيـــد الله والتصديق بالنبوة والاعتقاد بالآخرة)، لكن الأصول عند المسلمين* ولاسيما الأثنـــا عشـــرية خمسة وهي فضلاً عن المذكور آنفاً (العدل والإمامة). والعلم الذي يدرس هذه المباحث يسمى (علم الكلام).[٣]

أولاً: التوحيد

التوحيد لغةً:على وزن تفعيل، وهومن الوحد: وتعني المنفرد.[٤]

والتوحيد اصطلاحاً: هو ((الاعتقاد بوجود الخالق تعالى، وأنه واحـــد لـــيس لـــه شـــريك أو شبيه)).[١]

---

[١] ظ: دروس في العقيدة: محمد تقي اليزدي، ٢٩.

[٢] الروم:٣٠.

*** معلوم أن فرق المسلمين مختلفة في رؤيتها لأصول الدين. فأهل العامة يرون أنها (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، في حين أن المعتزلة يرون أنها خمسة (التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)**

[٣] ظ:عقائدنا: طارق محمد علي، الحلقة الثانية،١٧.

[٤] ظ: معجم العين: الخليل الفراهيدي، ٣/ ٢٨٠- ٢٨١ ، لسان العرب: ابن منظور، ٣/ ٤٤٢- ٤٥٣.

فروع التوحيد: جعل العلماء أربعة فروع للتوحيد هي:[٢]

١) توحيد الذات: أي أن الله تعالى واحد لا شريك له،[٣] وأنه بسيط؛ (لأن كل مركب محتاج لأجزائه، وواجب الوجود منزه عن كل احتياج).[٤]وهو غير مبعض ولا مجزأ ولا مكيف، ولا يقع عليه أسم العدد ولا الزيادة ولا النقصان.[٥] وهذا القول يتجسد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾.[٦]

وهذه الآيات تسمى بـ(سورة الإخلاص)، وأيضاً بسورة الأساس وسميت بهذا الاسم، وصفات الله سبحانه. كما جاء في كتب التفسير أنها عدل القرآن ، وقيل أنها ربعه؛ لأن ثلث موضوعات القرآن تقريباً تدور حول التوحيد. وجاءت عصارتها في هذه السّورة.[٧]

سبب النزول:

أختلف العلماء في نزول الآية فهم على رأيين:[١]

---

[١] عقائدنا: طارق محمد علي، ٣٣ ، لمحات في أصول العقيدة الإسلامية: السيد فاضل الموسوي الجابري، ١٣ ، محاضرات في العقيدة الإسلامية: أحمد البهادلي، ٢٣٤/١-٢٣٥ ، الأمثل في تفسير كتاب الله: الشيرازي، ٥٥٨/٢٠.

[٢] ظ: دروس في العقيد الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ١٥١-١٥٥.

[٣] ظ: لمحات في أصول العقيدة الإسلامية: السيد فاضل الموسوي، ١٥.

[٤] دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ٨٣ ، ظ:لمحات في أصول العقيدة،فاضل الموسوي، ١٥.

[٥] ظ: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ، ٢/ ٤٤٩.

[٦] الإخلاص:١-٤.

[٧] ظ: الكشاف الزمخشري،٢٩٩/٣، ظ:تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي،٤١٦/١٠، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: مكارم الشيرازي، ٢٠/ ٥٤٧-٥٤٨.

الرأي الأول: يقول سورة الإخلاص مدنية، والرواية التي تؤكد على ذلك هي: عند قدوم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة أتى عبد الله بن صوريان اليهودي للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: أخبرني عن ربك ما هو؟ فنزلت (قل هو الله أحد) الى آخرها.[٢]

الرأي الثاني:سورة الإخلاص مكية: إذ قالت قريش للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة: صف لنا ربك لنعرفه فنعبده.[٣]

ولم أجد أحداً من المفسرين قال بأن السورة نزلت في غير هذين المكانيين. فعندما نريد أن نحدد مكان نزول السورة وسببها سوف ينحصر بين هذين السببين. نلحظ موضوع السورة التي تدور حوله، إذ يبين الله تعالى في سورة الإخلاص وحدانيته وكيف تكون هذه الوحدانية، فموضوعها الذي يدور حول التوحيد، وبيان صفات الله سبحانه التي تنزه بها من دون غيره من الموجودات، فهو (أحد) وهذا نفي مطلق لكل الأعداد وأراد بذلك أن يبين لأهل مكة، أنه يختلف عن آلهتهم المتعددة، وأنه أحد قادر على قضاء جميع حوائجكم عكس آلهتكم التي تجعلون لكل قضاء آله. كما أن الكفار تجعل بعض الآلهة آباء البعض الآخر. كما أن اليهود كانوا يعبدون الله (جل وعلا) وهم يعرفونه فلا حاجة لسؤال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قدم الى المدينة شرع في بيان الأحكام والشرائع؛ لأن الجميع قد عرف ما يعبدون، وعندها يكون اليهود عرفوا أن المسلمين يعبدون الله (جل وعلا) فلا حاجة للسؤال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك نستنتج مما سبق أن سورة الإخلاص مكية.

---

[١] ظ:الكشاف: الزمخشري،٢٩٨/٤ ، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ٥٧٧/٧.

[٢]ظ: تفسير الإمام العسكري: الإمام العسكري (عليه السلام)، ٤٥٣، التبيان: الشيخ الطوسي، ١/ ٣٦٣.

[٣] ظ: أسباب نزول الآيات : الواحدي النيسابوري، ٣١٠ ، ظ: تفسير القمي: علي بن أبرهيم القمي، ٢/ ٤٤٨-٤٤٩، تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ٦١٧.

التفسير:

الأحد ((وصف مأخوذ من الوحدة كالواحد غير أن الأحد يطلق على ما لا يقبل الكثرة لا خارجا ولا ذهنا ولذلك لا يقبل العد ولا يدخل في العدد بخلاف الواحد فإن كل واحد له ثانيا وثالثا إما خارجا وإما ذهنا بتوهم أو بفرض العقل فيصير بانضمامه كثيرا، وأما الأحد فكل ما فرض له ثانيا كان هو لم يزد عليه شيء)).[1]

ويعني أنه غير مبعض ولا مجزأ، كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):(نور لا ظلام فيه وعلم لا جهل فيه) فإذا أطلق أحد من غير تقدم موصوف، فهو واحد نفسه، وإن تقدمه موصوف، فهو أحد في معنى صفته. وإذا وصف تعالى بأنه أحد، فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره: من كونه قديما وقادرا لنفسه وعالما وحيا وموجود وأنه تحق له العبادة لا تجوز لأحد سواه ، وفى قوله (الله أحد) دليل فساد مذهب المجسمة؛ لأن الجسم ليس بـ(أحد) إذ هو أجزاء كثيرة، وقد دل الله عز وجل بهذا القول على أنه أحد، فصح أنه ليس بجسم.[2]

وقوله: الصمد، أي الذي لا مدخل فيه ولا جوف له أو بمعنى السيد المعظم الذي يسند إليه الأشياء في الحوائج ليس فوقه أحد.[3] ويقول الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ):((ومن قال:

---

[1] **تفسير الميزان : السيد الطباطبائي،٢٠/٣٨٧.**

[2] **ظ: التبيان: الشيخ الطوسي،١٠/٤٣٠.**

[3] **ظ: م.ن:١٠/٤٣٠ ، الكشاف: الزمخشري،٤/٢٩٨.**

الصمد بمعنى المصمت، فقد جهل الله سبحانه؛ لأن المصمت هو المتضاغط الأجزاء وهو الذي لا جوف له وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى)).[١]

ويبين الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) في الميزان سبب تكرار لفظ الجلالة الله سبحانه في قوله (الله الصمد) فقال:((وإما إظهار اسم الجلالة ثانيا حيث قيل: " الله الصمد" ولم يقل: هو الصمد، ولم يقل: الله أحد صمد، فالظاهر أن ذلك للإشارة إلى كون كل من الجملتين وحدها كافية في تعريفه تعالى حيث أن المقام مقام تعريفه تعالى بصفة تختص به فقيل: الله أحد الله الصمد إشارة إلى أن المعرفة به حاصلة سواء قيل كذا أوقيل كذا)).[٢]

وقوله (لم يلد) نفي منه تعالى لكونه والد لأحد، وأرجع الزمخشري سبب عدم الولادة قائلاً:((لم يلد لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبه فيتوالدا. وأستدل على هذا المعنى بقوله:﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾.[٣])).[٤] و أستدل الطبري(ت: ٣١٠هـ) من لفظ (لم يلد) بأن الله سبحانه ليس بفان، وعلل ذلك قائلا:((لأنه لا شيء يلد إلا هو فان بائد)).[٥] بينما الطباطبائي يقول في بيان معنى الآية:((أما كونه لم يلد فإن الولادة التي هي نوع من التجزيء والتبعض ....، وحاجة المركب إلى أجزائه ضرورية والله سبحانه صمد ينتهي إليه كل محتاج في حاجته ولا حاجة له)).[٦]

---

[١] **التبيان: الشيخ الطوسي، ٤٣١/١٠.**

[٢] **تفسير الميزان: الطباطبائي،٢٨٨/٢٠.**

[٣] **الأنعام :١٠١.**

[٤] **ظ:الكشاف : الزمخشري،٢٩٨/٤.**

[٥] **جامع البيان : الطبري،٤٥٢/٣٠، ظ: تفسير الثعلبي: الثعلبي ، ٣٣٤/١٠.**

[٦] **تفسير الميزان: الطباطبائي،٢٨٩/٢٠.**

وقوله (ولم يولد) نفى أن يكون (جل وعلا) مولود لأحد؛ لأن ذلك من صفات الأجسام وفيه رد على من قال: إن عزير والمسيح أبناء الله تعالى، وأن الملائكة بنات الله، وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) نفي من الله تعالى أن يكون له مثل أو شبيه أو نظير، ونفي بأن يكون له شريك أو ظهير أو معين.[1]

لاحظنا كما مر علينا آنفاً، من معاني الكلمات (أحد، صمد، كفوا) في سورة الإخلاص، فهذه المفردات قد بينت وحدانية الله تعالى وانفراده بالعبادة من دون الإشتراك به. فلماذا أعقب الله سبحانه وتعالى في السورة كلمات جميعها تحمل دلالة الانفراد؟. فلفظ (أحد) يبين أن الله (جل وعلا) منفرد بالوجود ولا شريك له، وعقّب الانفراد بالوجود انفراد بحاجة الموجودات الى الوجود الأول فأعقب وقال (الله الصمد)، وعقّب كذلك (لم يلد) فهي تبين أن الله تعالى لا يحتاج الى ولد يعينه على إدارة الكون ولا يحتاج الى أنيس، وتحمل أيضاً دلالة أن الله هو المالك الأول والآخر. فهذا البيان عندما أُعقِب على الانفراد بالوجود والحاجة كان مبين لاستمرارية الحياة إذ بدأت به وسوف تنتهي به؛ لأن ما معهود أن الحياة معاقبة للأجيال أب وبعده أبن ويكون الابن أب وله أبن وهكذا دواليك. لكن هيئة بقاء الله تعالى في الوجود تختلف عن غيره إذ بدأت به وهو الأحد وتنتهي به، وهو الذي لم يلد. وبعدها أعقب قائلا تبارك وتعالى (لم يولد) وهو بيان الخلقة الأولى للكون بأن لا سابق له تعالى وتبارك أحسن الخالقين وهو إشارة الى أن من خلق الكون الله (جل وعلا) واحد لم يساعده في ذلك لا والد ولا والدة ولا ولد ولا صاحبة ولا مثيل له في الخلق ولم يكن له كفوا أحد وهو تعقيب ختامي للكل

---

[1] ظ: الكشاف الزمخشري:٤/٢٩٨ ، تفسير القمي: علي بن أبراهيم القمي، ٢/ ٤٤٨-٤٤٩ ، تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ٦١٧.

السورة ومبين أن ما بدأ في السورة من توحد في والحاجة والملك والخلق جاء في الختام مبيننا ومعقبا أنه لا مثيل له في الوحدانية.

نستخلص أن البيان والتعقيب في العقيدة له روعه فنية وذائقة أسلوبية في اختيار الألفاظ وسبك الكلمات مع بعضها في رسم صورة الكون من مَنشأ ومُنشِئ.

٢) توحيد الصفات: والمراد منه أن صفاته سبحانه وتعالى، متحدة مع عين الذات الإلهية، ولا تنفصل عن بعضها.[١]* وينتزعها العقل من مصداق واحد بسيط هو الذات الإلهية. فقال الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[٢]

البيان:

البديع هو المبدع، صفة معدولة عن مفعل الى فعيل، وبدع السماوات والأرض وصف مختص بالله تعالى، فكيف يكون له ولد ولم تكن له قرينة.[٣]

---

* **معلوم أن:الإمامية ــ بما فيهم الشريف المرتضى ــ قالوا: إنّ الصفات عين الذات، وغير زائدة عليه؛ لأنّ وجوب الوجود يقتضي الاستغناء عن كل شيء. فلا يفتقر في كونه قادراً إلى صفة القدرة، ولا في كونه عالماً إلى صفة العلم. وأمّا المعتزلة فقد تباينت آراؤهم في هذه المسألة، فمنهم من قال: إنّ ما يطلق على الله تعالى من أوصاف ثبوتية، مثل وصف عالم وقادر، فإنما يدل على إثبات الذات ونفي ضد ما يدل عليه الوصف[١]. وأول من ذهب إلى هذا الرأي هو واصل بن عطاء[(١)](ت١٣١هـ) وتبعه جماعة من المعتزلة، منهم النّظّام[(١)] والجاحظ[(١)](ت٢٥٥هـ) وأبو علي الجبّائي[(١)](ت٣٠٣هـ) ونُسب لأبي هاشم الجبّائي[(١)](ت٣٢١هـ) قوله: أنّه تعالى يستحقها لِما هو عليه في ذاته[(١)].ووافقه بعض متأخري المعتزلة[(١)]، وبعض الأشعرية[(١)]، وجمهور الزيدية[(١)].بينما ذهب كل من العلاّف وأبي علي الجبّائي والقاضي عبد الجبار[(١)] إلى أنّ صفات الله الذاتية هي عين ذاته، وهؤلاء وافقوا الإمامية. وأمّا الأشعرية والماتريدية فقد أثبتوا لله تعالى صفات قديمة، زائدة على الذات، معلّلين ذلك بأنّ هذا لا ينتهي إلى تعدّد وكثرة[(١)].**

[(٢)] الأنعام:١٠١.

[(٣)] ظ:التبيان:الطوسي،٤/٢٢١.

وعبارة (خلق كل شيء) لها معنيان: أما قدر، وعليه تكون الآية عامة؛ لأنه تعالى مقدر كل شيء، أو أحدث كل شيء، وعليه تكون مخصوصة؛ لأنه لم يحدث أشياء كثيرة من مقدور غيره. وأنه سبحانه يعلم كل الأشياء قديمها ومحدثا، موجودها ومعدومها.[1]

التعقيب:

بين الله تعالى في الآية الكريمة أنه أختص بخلق أشياء ما لم يستطع غيره إيجاد مثلهـــا. وكل هذا العمل كان وحده من دون مساعد، بدليل ما عقبته الآية الكريمة، بأنه ليس له ولـــد، فهو بالعادة يكون مساعداً لوالده، ولا زوجة كبدليل لعون الولد، وإن كان ذكر الزوجة بأنهـــا الزوجة بأنها سبب في وجود الولد. وزاد في بيان توحيده بالصفات بأنه أوجد كل شيء وبعلم. وعليه يكون البيان والتعقيب قد أثبت أن الله تعالى أختص بصفات من دون غيره، وهذه طريقة جديدة بالاثبات.

٣) التوحيد الأفعالي: ويعني أن كلّ موجود في العالم يعود إلى ذاته المقدّسة، فهـــو مسبب الأسباب وعلة العلل. إذ منح الإنسان الاختيار وحرية الإرادة، وبذلك يكون الإنسان مسؤولاً عن الأفعال الصادرة منه، وإن كانت تجاه الفعل الصادر منـــه. وإن كانت تعود لله عز وجل من جهة أخرى، إذ (لا مؤثر في الوجـــود إلا الله). كما أن الله سبحانه غير محتاج في أفعاله لأي أحد. قال تعـــالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.[2]

البيان والتعقيب:

---

[1] **ظ:م.ن: ٤/٢٢١.**

[2] **البقرة: ١١٧.**

بين الله تعالى أنه أختص بإيجاد السماوات والأرض، وهذا العمل لم يستطع أحد أن يأتي مثله، وبعدها عقّب بأنه سبحانه أختص بأمر لا يستطع أحد أن يكون مثله، وهو الكيفية التي يخلق بها، فأن أراد شيئاً يقل له كن فيكون. فمن خلال البيان والتعقيب وبطريقة جديدة قد أكدنا على أن الله تعالى أختص بالتوحيد الأفعالي.

٤) التوحيد في العبادة: أو ما يسمى (التأثير الاستقلالي): أي أن الله يفيض تأثيره في كل مكان وعلى كل شيء، ويتم تأثير كل مخلوق على الآخر بإذن الله (عز وجل). ((ولذا يجب أن تكون العبادة لمن هو كمال مطلق. ومطلق الكمال، لمن هو غني عن الآخرين، ولمن هو واهب النعم وخالق كلّ الموجودات وهذه صفات لا تجتمع إلاّ في ذات اللّه سبحانه)).[١] قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.[٢]

وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[٣]

ولمعرفة الله تعالى يوجد تصوران، الأول: المعرفة الحضورية، وتعني أن يتعرف الإنسان على الله عن طريق الشهود الباطني والقلبي من دون حاجة البرهان العقلي، وهذا غير

---

[١] الأمثل: الشيرازي، ٢٠/٥٦١.

[٢] الأعراف: ٥٤.

[٣] النجم: ٤٢.

ممكن للفرد العادي وأنما هو من مختصات العارفين.* والثاني: المعرفة الحصولية، وهـــي أن يتوصل الإنسان لمعرفة الله تعالى، من خلال بعض المفاهيم كالخالق والغني والقادر وغيرها، ويمكن التوصل من خلالها الى المعرفة الحضورية.[١]

ثانياً:العدل:

قال الراغب (ت:٥٠٢هـــ) مادة عدل (العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المســـاواة ... والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه ... نحو كف الأذية عمن كف أذاه عنك. وعـــدل يعرف كونه عدلا بالشرع ... كالقصاص).[٢]

والعدل حسب المفهوم العقائدي مختلَف فيه، فعند المعتزلة له معنيان:

الأول:هو كل فِعلٍ حسَن[٣]،وهو رأي أبي علي الجبائي. وهذا ما رفضه أحد أقطاب المعتزلة، وهو القاضي عبد الجبار بقوله: إنّ ذلك يوجب القول بأنّ قيام الإنسان وقعوده وأكله وشِربه عدل ..... وفي ذلك خروج عن التعارف في هذه التسمية[٤].أما المعنى الثاني فهو أنّ العدل من أوصاف الفعل، والفعل العدل هو كل ما يفعله الفاعل بغيره باقتضاء الحكمة من شأنه أن يتضرر به الغير أو ينتفع به[٥].

والمعنى الذي ذهب إليه الرجل لا يترك مناسبة بين المعنى الإصطلاحي للعدل وبين المعنى اللغوي بنحو يحسن استعمال كلمة العدل المحتوي على معنى الاستقامة ــ كما تقدّم ــ فإنّ

*** العارف: هو الواصل إلى الله تعالى بنفسه لا ببدنه، والله تعالى متمثّل في نفسه تمثّل المعشوق في ذات العاشق.**

[١] ظ: دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ٥٨-٥٩.

[٢] ظ: مفردات غريب القرآن: الراغب، ٣٢٥.

(٣)المغني في أبواب العدل والتوحيد: القاضي عبد الجبار، قسم التعديل والتجوير، ج٦، ص٤٩.

[٤] ن،م: ص٤٩ ــ ٥٠.

[٥] ن، م: ص٤٨ــ ٥١ (بتصرّف).

الفعل الذي يوصَف بالعدل على أن يكون فيه ضرر على الغير أو المنفعة له لايتلائم والمعنى اللغوي ملائمة واضحة.

أما عند الأشعرية، فإنّ عدل الله تعالى في أفعاله بمعنى أنه متصرّف في مُلكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فالعدل وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في المُلك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضدّه، فلا يُتَصوّر منه جَور في الحكم وظُلم في التصرف[١].وهذا التعريف مستقى من مبدئهم القائل بأنّ(الحَسَن ما يفعله الله، والقبيح ما لا يفعله[٢])ومن هنا ورد قولهم (يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد)

أما الإمامية فقد عرّفوه بقولهم: (الواجب تعالى لا يفعل القبيح، ولا يترك الواجب[٣]) . وهذا المعنى بعينه موجود في كلام الشريف المرتضى، إذ أشار إلى الشق الأول منه بقوله: (ولا يجوز أن يفعل القبيح؛ لِعِلمه بقبحه، ولأنه غني....وهو تعالى لا يفعل شيئاً من القبائح، تعالى عن ذلك[٤]) .

وقد وردت آيات عديدة تؤكد على عدل الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾.[٥] فأقرن الله تعالى الإحسان بالعدل؛ لأن العدالة تعني المساواة، أن خير فمثله وأن كان شرا فمثله ولصعوبة تحققه من المخلوقات أقرنه بالإحسان وهوأن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه.

---

(١)التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفرئيني، ص١٠٠، ١٠١.
(٢)شرح التجريد: القوشجي، ص ٣٧٤.
(٣)عماد الإسلام: علي دلدار، ج٢ ص٢.
(٤)جمل العلم: الشريف المرتضى، ص ٣٢، الأصول الإعتقادية: ص٨٠.
(٥) النحل:٩٠.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.[1]

البيان والتعقيب:

سبب نزول الآية أنه حدث قتال بين الأوس والخزرج، في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فتشير الآية الى أنه إذ تقاتل فريقان من المؤمنين، فأصلحوا بينهما، ومعنى العنت: المشقة.[2]

وبعد ذلك ذكر الله تعالى كيفية الإصلاح ونوعه، وهو إصلاح بوضع السلاح وترك القتال، فضلاً عن إصلاح بالعدل بإجراء أحكام الله تعالى فيما تعدت به المتعدية من دم أو عرض أو مال. كما أنه أوجب بإعطاء كل ما يستحقه من العدل، فهو معطوف عليه من باب عطف المطلق على المقيد للتأكيد.[3]

وبعد أن بيّن الله تعالى وجوب العدل عند الإصلاح بين فئتين مقتتلتَيْن بينهما. عقّب بالقسط بينهم، وأراد من هذا التعقيب بعد البيان هو التوكيد.

ثالثاً: النبوة

يقول الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) في صحاحه:((النبوة والنباوة: ما ارتفع من الأرض. فإن جعلت النبي مأخوذ منه، أي أنه شرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز، وهو فعيل

---

[1] **الحجرات: ٩.**

[2] **ظ:مجمع البيان:الطبرسي، ٩/٢١٩.**

[3] **ظ:الميزان:الطباطبائي، ١٨/٣١٥.**

بمعنى مفعول، وتصغيره نُبي، والجمع أنبياء)).[١] ويرى الراغب (ت:٥٠٢هـ) أن النبي في اللغة أصلها نبئ، والنبي من النبوة أي الرفعة. لكن ليس لفظ النبي فيه رفعة أكثر من لفظ نبئ، إذ ليس كل من أطلق عليه لفظ نبئ هو رفيع المنزلة في قومه.[٢] والنبيء فعيل بمعنى فاعل للمبالغة، من النبأ: الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله. فيقال: تنبأ مسيلمة. وأن النبي مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع.[٣]

والنبوة: تحميل النبأ من جانب الله سبحانه، ويفترق عن الرسالة إذ معنى الأخيرة: هو تحمل التبليغ، وللنبوة لوازم وهي المطاعية والاطاعة: وهي قبول الإنسان ما يراه أو يأمره غيره.[٤] والنبي: هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة بشر، وقد يكون له شريعة كمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعندها يسمى رسولاً، أو ليس له شريعة كيحيى (عليه السلام) ويسمى نبياً فقط. فلا يكون النبي ملكاً، وليس إماماً؛ لأن الإمام يخبر عن الله تعالى بواسطة النبي. ولا يقرر ما يخالف ظاهر العقل، ويدعو لطاعة الله تعالى مع معجزة مقرونة بالتحدي مطابقة لدعواه.[٥]

والحكمة من بعث الأنبياء وذلك للإمداد القانون الإلهي، لقصور عقل الإنسان عن إدراك جميع المصالح والمفاسد، وحكم الأهواء والرغبات وأن اتصال النبي الدائم في الله تعالى من

---

[١] الصحاح: الجوهري، ٦/٢٥٠٠.

[٢] ظ: مفردات غريب القرآن: الراغب، ٤٨٢.

[٣] ظ: النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ٣/٥-٤.

[٤] تفسير الميزان: الطباطبائي،١/٢٧١.

[٥] ظ: قواعد في العقائد: نصير الدين الطوسي،٨٧-٨٨ ، عقائدنا: طارق محمد علي، ٨٩-٩٠.

خلال الوحي، سيكون القدوة التي لها تأثير فاعل في تربية الإنسان. وبدوره سيوقف الناس على المعارف والرسالات الإلهية. وإقامة العدالة الإلهية بين أفراد المجتمع البشري.[1]

قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾.[2]

اللغة:

الميثاق: هو العهد والميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا.[3] والميثاق نوعان:[4]

١) ميثاق عام: وهو لعامة البشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾.[5]

---

[1] **ظ: عقائدنا: طارق محمد علي، ٨٣ ، دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ٢١٢-٢١٣ ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت:جعفر السبحاني، ١١٨-١١٩.**

[2] **الأحزاب:٧.**

[3] **التبيان: الطوسي، ٣١٩/٨.**

[4] **ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي،١٦/ ٢٧٧-٢٧٨ .**

[5] **الأعراف:١٧٢.**

٢) ميثاق خاص: أي خاص بالأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾.[١]

البيان:

الآية ترمي لبيان ما عهد الله تعالى الى الأنبياء المذكورين وأمرهم به من إخلاص العبادة له، وأداء الرسالة والقيام بها. وأن يصدق بعضهم بعضا، ويتبع بعضهم بعضا.[٢]

وخص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر من دون سواهم؛ لأنهم أصحاب شرائع. [٣] أما ترتيب أسماءهم بحسب التسلسل الزمني لهم وتقديم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم، ففيه قولان: الأول لشرف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ومنزلته التي هي أعلى منازل الأنبياء. والقول الثاني: لأن النبي أول الخلق، كما جاء في حديث بشر بسنده عن قتادة، قوله:((وإذ أخذنا من النبيين ومنك ومن نوح قال: وذكر لنا أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول: كنت أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث، وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ميثاق أخذه الله على النبيين، خصوصاً أن يصدق بعضهم بعضا، وأن يتبع بعضهم بعضا)).[٤] وفي خبر محمد بن بشار بإسناده قال:((كان قتادة إذا تلا هذه الآية وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال: كان نبي الله (صلى الله عليه وآله

---

[١] **آل عمران:٨١.**

[٢] **ظ:التبيان: الطوسي،٣١٩/٨ ، تفسير مجمع البيان: الطبرسي،١٢١/٨.**

[٣] **ظ:تفسير مجمع البيان:الطبرسي،١٢١/٨.**

[٤] **جامع البيان:الطبري، ٢١/ ١٥١.**

وسلم) في أول النبيين في الخلق)).[1] والسبب من تغليظ الميثاق، ((ليسأل الأنبياء المرسلين: ما الذي جاءت به أممكم.... وقيل: ليسأل الصادقين: ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره، ويكون فيه تهديد للكاذب)).[2]

ونوع الميثاق في الآية المبحوث فيها، من النوع الخاص، أي ميثاق للأنبياء بدليل الضمير (هم) العائد على النبيين اتصل في كلمة (الميثاق). وفيه إشارة الى أنه أمر متعلق بالنبوة، لكن الآية لم تبين ما هو الميثاق المأخوذ منهم، ويمكن الاستفادة من آية آل عمران، أن الميثاق مأخوذ على وحدة الكلمة في الدين وعدم الاختلاف فيه، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.[3] وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.[4]

وقوله تعالى:(وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) تأكيد وتغليظ للميثاق، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.[5]

---

[1] م.ن:٢١/١٥١-١٥٢.

[2] تفسير مجمع البيان: الطبرسي:٨/١٢١.

[3] الأنبياء:٩٢.

[4] الشورى:١٣.

[5] هود:٥٨.

التعقيب:

كما عرفنا بأن النبي هو الذي يخبر عن الله تعالى، فقال في الآية أن (أخذنا من النبيين ميثاقهم) وبعدها بدأ يفصل في ذكر أسماء أولي العزم، وأن لفظ النبي ينطبق عليهم؛ لأنهم يخبرون عن الله تعالى. فلماذا أعقب بذكر أسماء أنبياء، برغم أن لفظ (نبيين) يشملهم؟.

إن التعقيب الذي جاء في الآية الكريمة يحمل في طياته عظمة المسؤولية التي كُلِف بها النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمسؤوليته كانت ثلاث مرات من مسؤولية الأنبياء. إذ مرة أُخذ الميثاق منه مع الأنبياء، وهذا في الميثاق الأول. والمرة الثانية: أُخذ منه مع أولي العزم، أما المرة الثالثة ما دلت عليه تقدمه في الآية على الأنبياء وهو أخر المبعوثين.

رابعاً: الإمامة

كما قلنا أصل تابع للنبوة، وجعلناها بهذا الاختصار لم نفصل فيها؛ لأن موضوعنا يوضح البيان والتعقيب في القرآن الكريم. حسب الموضوعات التي أستطرقناها، وما بيانه من هذه الموضوعات كان لتوضيحها.

والإمامة في مصطلح علم الكلام (هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص نيابة عن النبي).[1] وأختلف مع هذا التعريف صاحب الميزان كثيراً، فعنده معنى الإمامة غير النبوة

---

[1] **قواعد في العقائد: نصير الدين الطوسي ١٠٨،عقائدنا: طارق محمد علي، ١١٦ ، ظ: دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ٣٢٥.**

والخلافة والوصايا والرئاسة بل هي كون الإنسان يقتدي به غيره، في أفعاله وأقواله على نحو التبعية.[١] وعرف الإمام ((هو الذي يقتدي ويأتم به الناس)).[٢]

واختلفت المذاهب الإسلامية في تعيين الإمام، قسم يرى من اللازم أن يتم تعيين الإمام من الله تعالى عن طريق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنها مسألة إلهية وسماوية. في حين تعتقد بعض المذاهب بأن الإمامة الإلهية هي النبوة وانتهت بوفاة خاتم الأنبياء. وعندها توكل الناس باختيار إمامهم ووجوب طاعته وأن كان ظالماً.[٣]

وأورد نصير الدين الطوسي(ت:٦٧٢هـ) أقوال المذاهب في منصب الإمام، فأنقسم على ثلاثة أقسام:[٤]

الأول:وجوبه عقلاً: وهم على قسمين: وجوبه من الله تعالى، وهم الغلاة والإسماعيليّة. والقسم الآخر: وجوبه على الله تعالى، وهم الشيعة.

الثاني: وجوبه سمعاً، وهم أهل السنة.

الثالث: ليست وجوبا: فهم الخوارج والأصم من المعتزلة.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.[٥]

سبب النزول:

---

[١] **ظ:تفسير الميزان: الطباطبائي،١/٢٧١.**

[٢] **م.ن،١/٢٧٠.**

[٣] **ظ:دروس في العقيد الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ٣٢٣ ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ١٨٣.**

[٤] **ظ: قواعد في العقائد: نصير الدين الطوسي، ١١٠-١١١.**

[٥] **الأحزاب:٣٣.**

جاء في الحديث عن هلال بن حارث[1] قال:((رمقت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانية أشهر يأتي باب علي ثم يضع يده على عضادتي الباب ثم يقول: السلام عليكم ورحمة الله، الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)).[2] وفي خبر آخر عن أم سلمة ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وأدخلهم البيت فقالت أم سلمة: أتأذن لي فأدخل معهم؟ قال: نعم. قالت: فجللهم بثوب كان عليه ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)).[3] وفي حديث أحمد بن علي بإسناده عن أبي سعيد عن أم سلمة ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فجللهم ثوبا كان عليه ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: وأنا جالسة على باب البيت فقلت: يا

---

[1] أبو الحمراء: هلال بن حارث، وقيل هلال بن ظفر، من همدان، خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام). قاموس الرجال،محمد تقي التستري،١١/٢٩٥.

[2] مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): محمد الكوفي، ١٩/٢ ، ظ:مسند أحمد: أحمد بن حنبل،٣/٢٥٩ ، تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي،٢٦٧.

[3] مناقب أمير المؤمنين (عيه السلام): محمد الكوفي،٢/١٢٤.

رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: أنت خير إنك من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).))[1].

وسبب نزول الآية يكاد يتفق عليه جميع المسلمين، إذ إن الرواية احتضنتها الكثير من كتب المسلمين، إلا قليل من مذهب أهل السنة يقولون أنها في أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).[2]

اللغة:

أهل: ((أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب)).[3]

ويذهب: وهو الذهاب أي المضي.[4]

والرجس: القذر وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر.ومنه قوله تعالى: ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون. أي العقاب والغضب.[5]

ويطهروا: من الطهر: وهو نقيض الحيض، وتطهرت أي اغتسلت، والتطهير: التنزه والكف عن الإثم.[6] قوم يتطهرون، أي يتنزهون من الأدناس. ورجل طاهر الثياب، أي

---

[1] مناقب أمير المؤمنين (عيه السلام): محمد الكوفي: ١٢٥/٢ ، ظ: صحيح مسلم: النيسابوري،١٣٠/٧ ، سنن الترمذي: الترمذي، ٣٠/٥-٣١.

[2] ظ:أسباب نزول الآيات:الواحدي،٨٦٥/٢ ، تفسير السمعاني:السمعاني،٢٨٠/٤.

[3] مفردات غريب القرآن: الأصفهاني،٢٩.

[4] ظ: م.ن:١٨١.

[5] ظ:الصحاح: الجوهري،٩٣٣/٣ ، لسان العرب: ابن منظور، ٩٤/٦.

[6] ظ: كتاب العين،١٨/٤.

متنزه.[١] وقوله تعالى: أن طهرا بيتي، يعني من المعاصي والأفعال المحرمة. وقوله تعالى: يتلوا صحفا مطهرة، من الأدناس والباطل.[٢]

وكما لا ننسى أن (تَطْهِير) ليس مصدر الفعل (يُطَهِّر). فالفعل مبني للمجهول وعند بناءه للمعلوم يكون (يَطَهَّر) وهو على وزن (يفعَّل) ومصدره على وزن (تَّفَعُّل)، والتقدير هو (يَطَهَّر الله أهل البيت تَّطَهُّر). والمصدر الذي جاء في نهاية الآية (تَطْهِير) وهو على وزن (تفعيل) وفعله على وزن (فعّل) ففعل تَطهِير هو(تطهّر).[٣] والتطهُّر من التقدس، والتطهِير من التقديس.[٤]

البيان:

جاء في خبر زرارة[٥] عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:((ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، أن الآية ينزل أولها في شيء و أوسطها في شيء، وآخرها في شيء، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ من ميلاد الجاهلية)).[٦]

---

[١] **ظ: الصحاح: الجوهري،٢/٧٢٧.**

[٢] **ظ: لسان العرب: ابن منظور،٤/٥٠٥.**

[٣] **ظ: التعبير القرآني: فاضل السامرائي، ٣٥.**

[٤] **ظ:الصحاح: الجوهري،٣/٩٦٠.**

[٥] **زرارة بن أعين بن سنسن مولى لبني عبد الله بن عمر السيمين ، شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً، صادقاً فيما يرويه. معجم رجال الحديث: الخوئي،٨/٢٢٥-٢٦٨.**

[٦] **تفسير العياشي: ابن مسعود العياشي،١/١٧.**

والتعبير بـــ(إنما) والذي يدل على الحصر دليل على أن هذه المنقبة خاصة لأهل بيـــت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يدلل على أن الرعاية الإلهية لأعمالهم الطـــاهرة، لا يقدمون على معصية مع امتلاكهم القدرة والاختيار في إتيانها.[١]

والدليل الآخر على أن الآية نازلة في المعصومين إذ عدّ البعض أنها نازلة فـــي نســـاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقرينة أن السياق القرآني يتحدث عن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنلحظ الآية الكريمة بأكملها ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[٢] نجد الأفعال التي كلف الله سبحانه بها نساء النبي (صلى الله عليه وآلـــه وســـلم) اتصلت بها نون النسوة، على خلاف فعل التطهير الذي اتصل به ضمير جمع المذكر.[٣] وهذا يضيف دليل آخر على صحت اختصاص الآية بالمعصومين (عليه السلام).[٤]

وخطى بعض المفسرين الى الجمع بين نساء النبـــي (صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم) والمعصومين (عليهم السلام). إلا أن الروايات وعند كلا الطرفين لم تخبرنا في جمع بينهم، إلا رواية جمع أم سلمة مع علي وفاطمة والحسنين (عليهما السلام).[٥]

التعقيب:

---

[١] ظ:الأمثل: الشيرازي،١٣/٢٣٦-٢٣٧.

[٢] الأحزاب:٣٣.

[٣] ظ: الأمثل: الشيرازي،١٣/٢٣٧.

[٤] ظ: م.ن:١٣/٢٣٨.

[٥] ظ: الأمثل: الشيرازي ،١٣/٢٣٨.

في الآية الكريمة بين الله تعالى وبإرادته أن يزيل النجاسة والقذارة والأفعال القبيحة عن أهل البيت (عليه السلام)، فأن كانت الآية واضحة وبينة لما يريده الله (عز وجل) للمعصومين (عليهم السلام) لماذا عقّب في لفظ (يطهر) ومعناه نقيض للرجس، ولماذا جاء بمصدر فعل آخر؟.

يبدو والله العالم واستنادا الى تفسير الآية والروايات الواردة في بيان الآية ومعنى مفرداتها. أن الله (جل وعلا) في بادئ الأمر أراد أن يبعد عنهم كل دنس، فقال مؤكدا قوله باللام (ليذهب عنكم الرجس) فلم يقل يذهبكم عن الرجس، وهو ما يشعر بأنهم صلوات الله عليهم راسخين طاهرين لا يدنو إليهم أي قذر ونجاسة، وفيه إشعار آخر أنهم صلوات الله عليهم معصومون من الله تعالى، والآلية التي استعملها الله تعالى في عصمتهم (عليهم السلام) هو عدم اقتراب القبح منهم. وبعدها أعقب وقال ويطهركم. فالطهر كما جاء في كتب اللغة نقيض الحيض، إلا أن هذا الموضع لم يقصد فيه هذا المعنى؛ لأن المعصومين رجال والرجل لا يحيض. إذن المراد من يطهركم هو يقدسكم.

وبعدها عقّب بمصدر فعل آخر، فهما وإن كانا من مادة واحدة، إلا أن دلالة الفعل الذي على وزن (تَفَعَّلَ) تفيد التدرج، ودلالة المصدر الذي جاء على وزن (فعَّل) يفيد الكثرة والمبالغة.[1] إذن في الآية كان تفصيل، متمثل في (نفي الرجس و أثبات الطهر)، إلا أن لكل محله ففي بداية الأمر أمر الله تعالى الرجس بإرادته الابتعاد عن أهل البيت (عليهم السلام)، وعندما يبتعد الرجس عنهم سوف يتقدسون تدريجا حتى تصل قداستهم الى درجة بليغة. وهو ما يعطي إشارة مفادها أن المعصومين (عليهم السلام) يقعون في ابتلاءات من الله سبحانه حتى تصل درجاتهم للعلا.

---

[1] **ظ: التعبير القرآني: فاضل السامرائي، ٣٥.**

خلاصة الموضوع نستنتج فيما مر التعقيب في العقيدة دور في توضيح مفاهيم العقيدة وأصولها. إذ فيها أسلوب جديد للتعرف على الله تعالى من خلال القرآن، الذي تتعقب فيه صفات الله (جل وعلا) لبيان منزلته، وتبين لنا حقيقة يوم القيامة وفهم الحوادث بصورة ذهنية، تجعلنا ندرك حقيقة ذلك اليوم، وتبعدنا عن أتباع الفتن والهرج، وذلك من معرفة الغث من السمين. وكذلك للتعقيب دور في بيان ووتوضيح منزلة المعصومين (عليهم السلام).

خامساً:المعاد

المعاد لغةً: هومن العود: ويعني تثنية الأمر، أي عودا بعد بدء.[١] وعرفه صاحب الصحاح ((المعاد: المصير والمرجع، و الآخرة معاد الخلق)).[٢] لكن الجوهري (ت:٣٩٣هـ)، لم يوضح سبب تسمية الآخرة بالمعاد. والحقيقة والله العالم أن سبب التسمية هوأن الآخرة مرجع الخلق وأنهم سيعودون للحساب تحقيقاً للعدل الألهي ومنها سمي معاد، أي سيكون معاد الخلق أجمعين. وجاء لفظ المعاد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.[٣] والمعاد هنا جاء بمعنى مكة حيث ولد النبي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقيل أنها الجنة.[٤] ويقول ابن كثير (ت:٧٧٤هـ):((أنه

---

[١] ظ:كتاب العين: الفراهيدي،٢/٢١٧.

[٢] الصحاح : الجوهري،٢/٥١٤.

[٣] القصص:٨٥.

[٤] ظ: مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني،٣٥٢ ، ظ:لسان العرب: ابن منظور،٣/٣١٧ .

سيرده الى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة)).[١] وأستدل بالآية الكريمة ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾.[٢]

والمعاد اصطلاحاً: وهو رجوع الناس بعد الموت يوم القيامة بأجسامهم للحساب والجزاء. وهذا متفق عليه عند جميع الأديان. وأخبر جميع الأنبياء والمرسلين بوقوع المعاد.[٣] والحكمة من المعاد إذ يعد تقويم للأفعال، فالمعاد هدف للنشاطات الدنيوية، فهناك علاقة بين الحياتين (الدنيا والآخرة) من خلال تأثير أحداهما بالأخرى في السلوكيات والجزاء. وهو ما يسمى بالعدل الإلهي.[٤] وأنكروا الدهرية* وجود معاد وأن الإنسان ينعدم بموته.[٥]

والمعاد مسألة يبحث فيها بعد الاعتقاد بوجود الله تعالى، والاعتقاد بالمعاد أمر فطري، بدليل محكمة الوجدان، وهو ما يسمى الضمير، إذ أن الإنسان يستشعر بالطمأنينة عند فعل الخير، وعدم الارتياح عندما يذنب. فإذا لعالم النفس الصغير هذه المحكمة فكيف لهذا العالم الكبير أن لا يكون له محكمة.[٦]

ويستدل القرآن الكريم على المعاد بطرق متنوعة، فقال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ

---

[١] **تفسير ابن كثير: ابن كثير،٣/٤١٣.**

[٢] **الأعراف:٦.**

[٣] **ظ: عقائدنا: طارق محمد علي،١٣٦-١٤٠.**

[٤] **ظ: دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي اليزدي، ٣٧٦-٢٧٨ ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ٢٢٦-٢٢٧.**

* **وهم الذين ينكرون المبدأ والمعاد. والذين ينكرون المعاد فقط**

[٥] **ظ: قواعد العقائد: نصر الدين الطوسي، ١٣٧-١٤١.**

[٦] **الأمثل: الشيرازي،١٤/٢٥٨-٢٦١**

بَسّاً ۝ فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ ﴾.[1]

سبب النزول:

سورة الواقعة من السور المكية، وعدد آياتها ستة وتسعون آية. و(الواقعة) أحد أسماء يوم القيامة، جاء هذا اللفظ في القرآن مرتين، مرة في سورة الواقعة ومرة في سورت الحاقة، وكان في كلتا المرتين يصف الله سبحانه فيها كيف يكون يوم القيامة.

وسبب نزول قوله تعالى:(السابقون السابقون) في علي (عليه السلام)، فعن ابن عباس[2] (ت:٦٨هـ) قال:((السباق ثلاثة: سبق يوشع بن نون الى موسى (عليه السلام)، وسبق صاحب ياسين الى عيسى (عليه السلام)، وسبق علي (عليه السلام) إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).))[3] وفي خبر أبو أسعد بن علي بإسناده الى الحكم بن ظهير، ((عن السدي في قوله تعالى:((السابقون السابقون)) قال: نزلت في علي (عليه السلام).))[4]

من خلال سبب نزول الآية أن سبب نزول سورة الواقعة، إرادة الله سبحانه في بيان أصناف الناس في ذلك اليوم، ويبين منزلة الإمام علي (عليه السلام) من الله تعالى ورسوله. فأنظر يأيها الناس مع شدة ذلك اليوم وهوله، سيكون هنالك أناساً مقربيين لله (جل وعلا).

الإعراب:

---

[1] **الواقعة: ١-١٠.**

[2] **هو من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحاب أمير المؤمنين والحسين (عليهما السلام)، وكان من الموالين لعلي (عليه السلام)، معجم رجال الحديث: الخوئي،١١/٢٤٥-٢٥٦.**

[3] **شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ٢/ ٢٩١-٢٩٢.**

[4] **شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ٢/٢٩٥-٢٩٦.**

قيل في إعراب (إذا) وجهان:[1]

الوجه الأول: أنها ظرف زمان متعلقة بمحذوف، يدل عليها ما جاء بعدها، والتقدير: إذا وقعت الواقعة خفضت قوم ورفعت آخرين.

الوجه الثاني: أنها غير ظرفية، وتعرب عندها، مرفوعة بالابتداء، وخبرها (إذا) الثانية، والأخيرة غير ظرفية أيضاً، ويكون معناها: إذا كانت الكائنة وحدثت الحادثة وهي يوم القيامة، وصفت بالوقوع؛ لأنها تقع لا محالة.

وقوله:(ليس لوقعتها كاذبة) إما اعتراض يؤكد تحقيق الوقوع، أو حال من الواقعة، وكاذبة: اسم فاعل وقع صفة لموصوف محذوف أي نفس، وقيل (الكاذبة) مصدر مثل العاقبة والعافية. واللام في (لوقعتها) للتوقيت. أي لا يكون حين وقوعها نفس كاذبة؛ لأن منكر الساعة الآن مكذب له تعالى في أنها تقع وهو كاذب في تكذيبه، وحين تقع لا يبقى كاذبا مكذبا.[2]

(خافضة رافعة): حال منصوب[3]

وقوله تعالى: (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة): (فأصحاب الميمنة) ابتداء، و (ما) ابتداء ثان و (أصحاب الميمنة) خبر (ما) و الجملة خبر الابتداء الأول.وفي الكلام تعظيم.[4]

و قوله تعالى:(السابقون السابقون): الأولى مبتدأ، والثانية: قيل فيه أما خبر للأول فيكون فيه تفخيم الأمر وتعظيمه، وقيل صفة للأول وهي بمعنى: السابقون الى الإيمان السابقون الى الجنة.[5]

اللغة:

---

[1] ظ: التبيان: الطوسي،٤٨٧/٩ ، جوامع الجامع: الطبرسي،٤٨٨/٣.

[2] ظ: التبيان: الطوسي، ٤٨٧/٩ ، تفسير الآلوسي:١٢٩/٢٧.

[3] الكشاف: الزمخشري،٥٢/٤.

[4] ظ:تفسير الثعالبي: الثعالبي،٣٦١/٥.

[5] ظ:م.ن، ٣٦١/٥.

الواقعة: السقطة القوية. والوقوع ظهور الشيء بالحدوث.[١] وجاءت في القرآن مرتين في سورة الواقعة وفي سورة الحاقة، إذ قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾.[٢]

والرج: تحريكك شيئا كحائط دككته. وبمعنى آخر الرج: هو تحريك الشيء وإزعاجه. والرجرجة: يعني الاضطراب.[٣] ولم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم إلا في سورة الواقعة.

وبست: من بسس، ومعناه فتت، والبسيس: السويق أو الدقيق المبلول.[٤] وهذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم إلا في سورة الواقعة.

هباء: غبار كالشعاع في الرقة، وكثير ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة.[٥] وجاء في القرآن مرتين الأولى في سورة الفرقان واصفاً أعمال من لا يؤمن بالبعث بالهباء المنثور، فقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً ﴾.[٦] والثانية في سورة الواقعة.

ولفظة أزواج: جمع زوج، والزوج: يطلق على كل واحد اقترن بآخر مماثلا له أو مضاد.[٧] وكل أثنين مقترنين:زوجان، ومنها يقال للرجل والمرأة أذا اقترنا زوج. فالمراد من لفظ زوج في الآية الكريمة الأمور المقرونة مع بعضها. كقوله تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ

---

[١] **ظ:التبيان: الطوسي،٤٨٧/٩ ، تفسير الآلوسي: الآلوسي،١٢٩/٢٧.**

[٢] **الحاقة:١٥.**

[٣] **ظ:كتاب العين: الفراهيدي، ١٦/٦، مفردات غريب القرآن: الأصفهاني، ١٨٧.**

[٤] **ظ:التبيان: الطوسي،٤٨٧/٩، تفسير غريب القرآن: فخر الدين الطريحي، ٣٠٠.**

[٥] **التبيان: الطوسي ، ٤٨٩/٩.**

[٦] **الفرقان:٢٣.**

[٧] **ظ:مفردات غريب القرآن: الأصفهاني، ٢١٥، معاني القرآن: النحاس،٣٢٥/٦.**

ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾.[1] إذ أراد من أزواجهم أي أشباههم.[2] وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.[3] فمعنى يزوجهم: يقرنهم، أي يقرن لهم. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾.[4] وقوله تعالى: ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾.[5] وغيرها من آيات القرآن الكريم التي تشمل لفظ (زوج) ومعناه (الأقران). وجاء لفظ زوج في القرآن الكريم تسع وعشرون مرة.

البيان :

عند ملاحظة الآيات في القرآن الكريم التي تتحدث عن يوم القيامة، نجدها غالباً ما ترتبط بها صور تتحدث عن هول ذلك اليوم وما تحصل فيه من أمور غير مألوفة في حياتنا اليومية. وسورة الواقعة تتحدث عن يوم القيامة، إذ يصف ذلك اليوم وما ترافقه من حوادث مهولة وغير طبيعية، وأقسام الناس في ذلك اليوم وما هو جزاء كل منهم.[6]

---

[1] **الصافات:٢٢.**

[2] **معاني القرآن: النحاس،٦/٢٠.**

[3] **الشورى: ٤٩-٥٠.**

[4] **الحج:٥.**

[5] **المؤمنون:٢٧.**

[6] **ظ: الأمثل: الشيرازي، ١٧/٤٤١-٤٤٥.**

قال تعالى:(إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة.خافضة رافعة)، فالواقعة فيها إشارة الى مسألة الحشر،((والمراد منها القيامة، وصفت بالوقوع؛ لأنها تقع لا محالة))[1]، وسيكون وقوعها ظاهراً وواضحاً لا يحتمل الكذب مطلقاً، بدلالة كلمة (كاذبة) التي جاءت بمعناها المصدري، ويعني عدم وجود من يكذب هذا الأمر. [2] وأما قوله تعالى:(خافضة رافعة)، فيه معنيان:[3]

المعنى الأول: إذا قامت القيامة سوف يُذل قوم ويُعز آخرون؛ لأن الواقعات العظام يرتفع فيها أُناس ويضع آخرون. فيكون هذا وصفاً لشدة ذلك اليوم.

المعنى الثاني: أن يوم القيامة سوف تتزلزل فيه الأشياء عن مقارها فتُخفض بعض وترفع بعض. والرأي الأول بعيد؛ لأن الله سبحانه أتصف بالعادلة، لاسيما أن حوادث يوم القيامة غير طبيعية وغير معتاد عليها. فلا يصح تشبيهها بالحوادث المعهودة. والأصح هو الثاني، بدليل الآية اللاحقة لها (إذا رجت الأرض رجا) فهذه الزلزلة سوف تغير طبيعة شكل الأرض، ولاسيما أن الله تعالى كثيراً ما يخبر بأن يوم القيامة سوف يتغير من جرائه شكلُ الأرض والسماء وكل ما في الوجود إلا وجهه الكريم باقٍ لا يفنى. وبدليل قوله تعالى:﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾.[4] وإن كانت الآية الكريمة تبين نوع العذاب الذي أُنزل على قوم لوط. إلا أن وجه الاستدلال فيها كان بياناً لقدرة الله تعالى في قلب الأرض.

---

[1] **الكشاف: الزمخشري:٤/٥١.**

[2] **ظ: الأمثل: الشيرازي، ١٧/٤٤٥.**

[3] **ظ:الكشاف: الزمخشري،٤/٥١-٥٢.**

[4] **هود:٨٢.**

وقولة تعالى:((إذا رجت الأرض رجا. وبست الجبال بسا. فكانت هباء منبثا)). وهنا عقّب الله سبحانه في بيان الحوادث التي سوف تقع في يوم القيامة، فقال (إذا رجت الأرض رجـــا) وهي نحو قوله تعالى:((إذا زلزلت الأرض زلزالها)).[١] لكن عبر الله بـــالرج لبيـــان شـــدة الزلزلة وعظمتها، ثم أكد شدتها بتنكير قوله:(رجا)، أي رجا لا يوصف شدته. لكن أثر تلـــك الواقعة سوف يجعل من الجبال هباء.[٢]

وقوله:((وكنتم أزواج ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة. والسابقون السابقون))

قسم الله تعالى الناس في يوم القيامة وبحسب ما ورد في الآيات المباركـــة علـــى ثلاثـــة أقسام:

أصحاب الميمنة: في رواية القمي بإسنادها الى حذيفة بن اليمان، قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :((أخبركم إن الله خلق الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، وذلـــك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثـــم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها أثلاثا، وذلك قوله: وأصحاب الميمنـــة مـــا أصـــحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين)).[٣] وهم الذين يقدمون صحيفة أعمالهم بأيديهم اليمنى، أوأن لفظ (ميمنة) مأخوذة من (يمن) التي تعني السعادة. فيكون الله سبحانه ذكر القسم الأول وهو السعداء، ولاسيما أن الآية اللاحقة تدل على التعاسة وسوء العاقبة. وأصحاب المشأمة وهـــي المـــأخوذة مـــن الشـــؤم،

---

[١] **الزلزلة:١.**

[٢] **ظ:تفسير الميزان: الطباطبائي، ١١٦/١٩.**

[٣] **تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي،٣٤٦/٢-٣٤٧.**

فسيستلمون صحائفهم بأيديهم اليسرى. أما القسم الثالث وهم (السابقون السابقون)، فهم الـــذين سبقوا غيرهم بالإيمان والإخلاص وأعمال الخير. فهم المقربون إلى الحضرة الإلهية.[1]

التعقيب:

في سورة الواقعة التي تتحدث عن يوم القيامة، نجد بياناً وتعقيباً في إيضاح ذلك اليـــوم، إذ كان يكفي فقط عندما قال:(إذا وقعت الواقعة. ليس لوقعتها كاذبة)، لما يحمل هذا الكلام من معنى يفي بتوضيح مدى عظمة يوم القيامة، من خلال لفظ الواقعة التي تدل في معناها علـــى السقطة القوية، وأن هذا الشيء سوف يحدث ويظهر، وأن هذا الظهور لا يكذبه أحـــد مطلقـــاً بدلالة (كاذبة) التي جاءت بمعناها المصدري. إذن لفظتان في بداية السورة بينت شـــدة ذلـــك اليوم ووضوحه، الى درجة لا تبقى نفس مخلوقة تشك بذلك اليوم. فالسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا أعقب الله تعالى في وصف الحوادث التي تحصل في ذلك اليوم؟ والجواب: حتى يبـــين منزلة محمد وآل محمد (عيهم السلام) وبعد أن وصف أن الكون جميعه سوف يتغير إذ ستقلب الوجود فترفع وتخفض وتهز الأرض فتجعل من الجبال الراسخة الثابتة ذرات متطـــايرة مـــع الهواء، فهذه الهزة المؤثرة أيضاً سوف تهز الناس كما يهز الدقيق بالغربال وعندها سينقســـم الناس ثلاثة أقسام، أصحاب اليمين ومن هم أخص منهم السابقون والقســـم الثالـــث أصـــحاب الشمال.

وعندما عقّب الله تعالى وقال هباء منبثا فأن الأثر يوصف المؤثر. فأن مدى تلك الواقعة قد تبين من خلال الأثر الذي أحدثته، إذ كيف بهذه الجبال الراسخة التي إن أراد الإنســـان أن يفجرها في وقتنا الحاضر استعمل قنبلة أو ما شابه، ولهول ما نراه من عمل القنابل في شـــق الطرق في الجبال أوفي تدمير المدن في الحروب إلا أنها تجعل من الجبل صخوراً فما تلـــك

---

[1] **ظ: الأمثل: الشيرازي، ١٧/ ٤٤٧- ٤٤٩.**

الصيحة التي تجعل ذلك الجبل الذي سُلط عليه قنابل فجعله صخور والصـــيحة جعلتـــه ذرات متطايرة. من هنا يتضح لدينا بأن التعقيب في العقيد له دور في بيان وتصوير حـــوادث يـــوم القيامة، كما تبين أن الساعة واضحة. وبالتالي لا نصدق كلما يقال وهي بهذا تمنـــع تصـــديق الفتن وما أكثرها وما أكثر من يدعي بالشخصيات المنقذة وما شابه.

نستخلص أن البيان والتعقيب في العقيدة مثلما له دلالة معنوية فله أيضاً رقيٌّ فني وذائقة أسلوبية في اختيار الألفاظ وسبك الكلمات مع بعضها في رسم صورة الكون من منَشأ ومُنشِـــأ وعاملين فيها ومنتهاها.

المبحث الثاني: البيان والتعقيب في قضايا الأحكام.

المطلب الأول: مفهوم آيات الأحكام:

أولاً: الأحكام لغةً واصطلاحاً:

الأحكام لغةً:

أحكام: جمع تكسير على وزن (أفعال)، أصله (حكم)، وهومن الحكمة: أي بمعنى العدل والعلم والحلم. ويحكم بينهم بمعنى يقضي الأمر بينهم، فيحكم لأحدهم على الأخر.[١]

والحكم والحكيم والحاكم، من صفات الله وأسمائه، فيقال لمن يحسن الصناعة ويتقنها حكيم، وهو العالم وصاحب الحكمة. والحاكم القاضي. والحكمة معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.[٢]

الأحكام اصطلاحاً:

الحكم: بمعنى ((المنع، ومنه سميت اللجام حكمة الدابة،... والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة التي يتصف بها الله تعالى هي العلم الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهو ما وصف فيه لقمان في قواه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾.[٣])).[٤] إلا أن الحكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة.[٥]

ضوابط آيات الأحكام:

جاءت آيات الأحكام في القرآن الكريم للتشريع وبيان ما للمسلمين من حلال أو حرام. ولمعرفة آيات الأحكام، هناك عدد من الضوابط هي:[٦]

---

[١] **ظ:كتاب العين: الفراهيدي،٦٦/٣ ، الصحاح: الجوهري،١٩٠١/٥.**

[٢] **ظ:لسان العرب: ابن منظور،١٤٠/١٢.**

[٣] **لقمان:١٢.**

[٤] **مفردات غريب القرآن: الأصفهاني،١٢٦.**

[٥] **ظ:م.ن:١٢٧.**

[٦] **ظ: تفسير آيات الأحكام: د.زاهد،٣٣-٣٦.**

١. ورود اللفظتين (أحل وحرم) ومشتقاتها في الآية يدلل أنها من آيات الأحكام.

٢. ورود اللفظتين (أمر ونهي) ومشتقاتها في الغالب أنها آية حكم.

٣. ورود صيغ الأمر مثل (إفعل) والمضارع المسبوق بلام الأمر والمصدر الدال على طلب الفعل أو النائب عن فعله أنها آية حكم.

٤. ورود ألفاظ (كتب، وصى، فرض) ومشتقاتها دلالة على آية حكم.

٥. لام الاختصاص مقروناً بـ(على) يدل على آية حكم.

٦. ما أقترن بالآية مما يدل على الفلاح والنجاح (لعلكم تفلحون) وما دل على المطلوبية أو المحبوبية أو الثناء والخسران والهلاك ووخيم العواقب والجزاء والعقوبات.

٧. ما خرج من أسلوبه الوضعي الى دلالة استعمالية، كخروج الاستفهام عن دلالته الحقيقية الى الإنكار أو التقرير.

٨. الجمل الخبرية التي يتحول معناها الى إنشاء (أمر أو نهي).

ثانياً:علم آيات الحكام:

كثر المسلمون المشتغلون بآيات الأحكام حتى برز علم خاص سمي بعلم آيات الأحكام. وكثر من ألف في هذا العلم. فعلم آيات الأحكام هو:((العلم الناتج من دراسة الآيات التي يكون في مضمونها تشريع الأحكام من حلال وحرام)).[١] إذن علم آيات الأحكام ((يدرس نوع الأحكام التي يمكن استخراجها بعد المقارنة لجميع الأدلة الشرعية الأخرى من سنة وأجماع وعقل)).[٢]

---

[١] **تفسير آيات الأحكام: د.عبد الأمير زاهد،٢٤.**

[٢] **علوم القرآن: السيد باقر الحكيم،٢٠.**

وعدد آيات الأحكام كما هو معروف خمسمائة آية، وقيل مائة وخمسون آية.[١] ويقول الزركشي (ت:٧٩٤هـ):((ولعل مرادهم المصرح به، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام)).[٢]

والأحكام في القرآن تنقسم على قسمين:[٣]

القسم الأول: ما صرح به من أحكام.

القسم الثاني: ما يؤخذ بالاستنباط. وهو على قسمين:

أ- ما يستنبط من غير ضميمة الى آية أخرى، كاستنباط الشافعي صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى: ﴿ اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾.[٤]

ب- ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى، كاستنباط الإمام علي (عليه السلام) أن أقل الحمل ستة أشهر، من قوله الله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ﴾.[٥] مع قوله تعالى: ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾.[٦]

إلا أنه من الصعب إحصاء آيات الأحكام وذلك بسبب:[٧]

- الاختلاف في فهم الحكم من الآية.

---

[١] **ظ: البرهان: الزركشي،٢/٣ ، الإتقان: السيوطي،٢/٣٤٠.**

[٢] **البرهان: الزركشي،٢/٣-٤.**

[٣] **ظ: م.ن: ٢/٤.**

[٤] **التحريم:١١.**

[٥] **الاحقاف:١٥.**

[٦] **لقمان:١٤.**

[٧] **ظ:دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام: باقر الأيرواني، ١/٢١-٢٢.**

- بعض الآيات لو لوحظت بإنفرادها لا يمكن عدها ضمن آيات الأحكام إلا بضمها الى آية أخرى.
- مجموعة من الآيات هي من آيات الأحكام حقيقة ولكن ربما لا تعد منها لعدم دخولها في محل الابتلاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

ومن الذين ألفوا في هذا المجال:[2]

١. أبو بكر الجصاص الحنفي (ت:٣٧٠هـ) وكتابه (أحكام القرآن)

٢. عبد الله بن محمود الشنفكي الشافعي وكتابه أحكام الكتاب المبين.

٣. أحمد بن يوسف الحلبي الشافعي (ت:٧٥٦هـ) وكتابه القول الوجيز.

٤. أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)

٥. الحسين بن أحمد النجدي الزيدي في كتابه شرح الخمسمائة آية.

٦. محمد بن الحسين الزيدي في كتابه منتهى المرام.

٧. ومن الشيعة ابن الراوندي (ت:٥٧٣هـ) وكتابه فقه القرآن. والمقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ) وكتابه كنز العرفان. والمقدس الأردبيلي (ت:٩٩٣هـ) وكتابة زبده البيان.

المطلب الثاني: البيان والتعقيب في آيات الأحكام

التطبيق الأول:

---

[1] **الحجرات:٤-٥.**

[2] **ظ: محاضرات في تفسير آيات الأحكام: د.زاهد، ٢٢-٢٣.**

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ .[1]

سبب النزول:

جاء في شواهد التنزيل عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) قال:((مما نزل في القرآن خاصة في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل بيته من سورة البقرة:((واركعوا مع الراكعين)) إنها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وهما أول من صلى وركع)).[2]

اللغة:

أقيموا: من الإقامة، والإقامة في المكان الثبات، وإقامة الشيء توفيه حقه.[3]

الصلاة: يقال أنها مشتقة من (الصلوين) وهما عرقان في الردف ينحيان في الصلاة. فأن كان الصلاة من الله فهي الرحمة، وأن كانت من الملائكة فهي الدعاء، وأن كانت من الناس تكون الدعاء والصلاة المعروفة.[4]

آتوا: من أتى: وهو المجيء بسهولة أما بالذات أو بالأمر أو بالتدبير.[5]

الزكاة: أصلها (زكا) وتعني النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعد ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية.[6]

البيان:

---

[1] البقرة:٤٣.

[2] شواهد التنزيل: الحسكاني، ٢/ ١١١ ، ظ:مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب،٢٩٦/١.

[3] ظ: مفردات غرب القرآن: الأصفهاني،٤١٨.

[4] ظ: معاني القرآن: النحاس،٨٤/١.

[5] ظ:مفردات غريب القرآن: الأصفهاني،٨.

[6] ظ: م.ن: ٢١٣.

قوله تعالى:(أقيموا الصلاة) ولها معنيان:[1]

المعنى الأول: الصلوات الخمس المفروضة؛ لأنها كفارة الذنوب. والفعل (أقيموا) يفيد الوجوب، أي وجوب إقامتها، وتنبيها أن المقصود منها توفي شرائطها، لا الإتيان بهيئتها، وذلك إدامتها في أقواتها، وترك التفريط في أداء ما فيها من الركوع والسجود.

والمعنى الثاني: الصلاة على محمد وآله الأطهار، الذين علي (عليه السلام) سيدهم وفاضلهم.

وقوله تعالى:(وآتوا الزكاة) وهي زكاة المال والأبدان، إذ فيها طهر من الذنوب. وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة، وذلك لزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. [2]

وفي حديث الحسين بن سعيد[3] بإسناده عن إسحاق بن المبارك[4] قال:((سألت أبا إبراهيم (عليه السلام) عن صدقة الفطرة أهي مما قال الله (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)؟ فقال: نعم.))[5]

وقوله تعالى: (واركعوا مع الراكعين) ففيه آراء:

---

[1] ظ:م.ن:٤١٨ ، معاني القرآن: النحاس،٨٤/١ ، تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام)،٢٣١.

[2] ظ: تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام)،٢٣١ ، مفردات غريب القرآن: الأصفهاني، ٢١٣.

[3] الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الأهوازي مولى علي بن الحسين (عليهما السلام) صاحب المصنفات ، الأهوازي، ثقة. وقيل من أصحاب الرضا (عليه السلام). ظ: سماء المقال في علم الرجال: الكلباسي، ٨٦/١.

[4] روى عن أبي إبراهيم عليه السلام ، وروى عنه صفوان. ظ: معجم رجال الحديث: الخوئي، ٣/ ٢٢٨.

[5] تفسير نور الثقلين: الحويزي،٧٣/١.

الرأي الأول: وهو ما جاء في تفسير الإمام العسكري:(ت:٢٦٠هـ) ((تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله (عز وجل) في الانقياد لأولياء الله: لمحمد نبي الله، ولعلي ولي الله، وللأئمة بعدهما سادة أصفياء الله؛ لأن في التواضع اعتراف بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).)) [١]

الرأي الثاني: ليس تكرارا، بل يكون بيانا، وهو حث على صلاة الجماعة، لتقدم ذكر الصلاة المنفردة في أول الآية.[٢] ويؤكد هذا المعنى الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ) ((فأمر الله بالجماعة كما أمر بالصلاة، وفرض الله تعالى على الناس من الجمعة الى الجمعة خمسا وثلاثين صلاة، فيها صلاة واحدة فرضها الله في جماعة وهي الجمعة، فأما سائر الصلوات فليس الاجتماع إليها بمفروض ولكنه سنة، من تركها رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علة فلا صلاة له)).[٣]

والرأي الثالث: أنما ذكر (أركعوا مع الراكعين) تعظيم وتفخيم لشأن الركوع، وأنه ركن من أركان الصلاة لا تصح من دونه؛ لأنه أول ما يشاهد من أفعال الصلاة.[٤]

الرأي الرابع: المأمورون في الآية هم أهل الكتاب ولا ركوع في صلاتهم، فكان الأحسن ذكر المختص من دون المشترك؛ لأنه أبعد من اللبس.[٥]

وأجمل ما قيل في تفسير الآية هو قول الشيرازي :((هذه الأوامر تتضمن في الحقيقة، بيان ارتباط الفرد بخالقه (الصلاة)، ثم ارتباطه بالمخلوق (الزكاة)، وبعد ذلك ارتباط المجموعة البشرية مع بعضها على طريق الله)).[١]

---

[١] ظ: تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام)،٢٣١-٢٣٣.

[٢] ظ:التبيان: الطوسي، ١٩٦/١ ، تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي،١٩٠/١.

[٣] من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق،٣٧٥/١.

[٤] ظ:فقه القرآن: القطب الراوندي،١٠٣/١.

[٥] ظ: م.ن:١٠٣/١.

التعقيب:

تضمنت الآية الكريمة حكمان هما: الصلاة والزكاة. فقال تعالى: (أقيموا الصلاة) والإقامة تعني أداء الشيء بأكمل وجه، فالمراد الإلهي من (أقيموا الصلاة) أقيموها بأكملها، أي بكل أركانها، مع الحضور الشعوري في أهمية المقام الذي يقف فيه المصلي أمام رب العباد. والركوع جزء من الصلاة، فلماذا أعقب الله الصلاة بالركوع؟.

وإن كان لتفخيم الركوع، ومن دونه تبطل الصلاة. فللصلاة أركان، أن بطل أحدها. بطلت الصلاة، فيكون بذلك الركوع متساوي مع غيره من الأركان. وأن كان ذكر الركوع وفيه حث على التواضع. فهو ما تأمر به الصلاة بأكملها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾.[٢]

أما من قال أنها حث على صلاة الجماعة، فالفعل الذي جاء به (أركعوا) فعل أمر، أي فيه دلالة الوجوب.

ومن قال أن الله سبحانه ذكر الركوع، لكي يأمر أصحاب الكتاب على الصلاة؛ لأن صلاتهم لا ركوع فيها. والمقصود من أصحاب الكتاب هم بني إسرائيل، كما هو بين في السياق القرآني. ولكن بني إسرائيل كان في صلاتهم ركوع بدليل الآية الكريمة التي خاطب الله فيها مريم فقال: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.[٣] ففي حينها كانت مريم على دين بني إسرائيل، وأمراها في الركوع معهم. لكن في قوله

---

[١] **الأمثل: الشيرازي، ١٨٦/١.**

[٢] **العنكبوت:٤٥.**

[٣] **آل عمران:٤٣.**

(أركعوا مع الراكعين) من هم الراكعون الذين قصدهم الله سبحانه في الآية الكريمة وأمر أهل الكتاب بالصلاة معهم؟.

إن سبب نزول الآية كانت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنهم أول الراكعين. ولما كانت الجماعة تصح في إثنين، كما في حديث الإمام أبي جعفر (عليه السلام): (الاثنان جماعة).[1] فالراكعون هم من نزلت فيهم الآية. فيبدو والله العالم أن الله تعالى لما أمر أهل الكتاب بعدد من الأمور ومنها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، أمرهم بصلاة الجماعة مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن عمه علي (عليه السلام). وذلك لتقوية إيمانهم أولا، وحتى يكونوا أمام أنظار النبي والإمام خمس مرات في اليوم ويأتمنوا من مكرهم.

نستنتج من التطبيق الأول أن للبيان والتعقيب دوراً بارزاً في بيان حكم. بصورة مختلفة عما كان معهودا. إذ تبين لنا الإمام الذي يصلي خلفه المسلمون، إن كان مشابهاً لأخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخلاق علي (عليه السلام) فصلاة الجماعة واجبة للحفاظ على المجتمع من الفتن التي تؤدي به الى الانهيار.

التطبيق الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾.[2]

سبب النزول:

نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ عندما كان بمكة ويجهر بصلاته، فيعلم المشركون بمكانه، وعندها يؤذونه، فأنزل هذه الآية.[1]

---

[1] **من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق،١/٣٧٥.**

[2] **الإسراء: ١١٠.**

فعن ابن عباس، قال:((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن، شق ذلك على المشركين إذا سمعوه، فيؤذون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشتم والعيب عليه، وذلك بمكة، فأنزل الله: يا محمد (لا تجهر بصلاتك) يقول: لا تعلن بالقراءة القرآن إعلانا شديداً يسمعه المشركون فيؤذونك ولا تخافت بالقراءة بالقرآن يقول: لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنيك ... فلما هاجر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة سقط هذا كله، يفعل الآن أي ذلك شاء).[٢] ويطلب الله الوسط في ذلك فأضاف قائلاً:((وابتغ بين ذلك سبيلا)) أي لا تجهر حتى يسمعوك المشركون فيؤذوك ولا تخفت فلا يسمعوك أصحابك.[٣]

البيان:

الجهر: وهو ظهور الشيء بإفراط حاستي البصر أو السمع. فإذا أرتفع الصوت بشدة، يقال له جهرا،[٤] فجاء هذا اللفظ في القرآن خمس عشرة مرة،* في سورة البقرة مرة، و أريد من معناها المجاهرة في حاسة العين. إذ كان قوم موسى يطلبون من موسى

---

[١] ظ: مناهج الأحكام:الميرزا القمي،٢٦٥-٢٦٦.

[٢] جامع البيان: الطبري، ١٥/٢٣٠.

[٣] ظ: جامع البيان: الطبري ،١٥/٢٣٠.

[٤] ظ: مفردات غريب القرآن: الأصفهاني، ١٠١، مجمع البيان: الطبرسي،٦/٣٠٤.

*** جاء لفظ الجهر في القرآن على ثلاث أضرب: الأول: جهر بالصوت وجاء هذا النوع في سورة (النساء: ١٤٨. الأعراف:٢٠٥. الرعد:١٠. الإسراء:١١٠. طه:٧. الأنبياء:١١٠. الحجرات:٢. الملك:١٣).**
والثاني: جهر بالبصر وجاء في سورتي البقرة:٥٥، والنساء:١٥٣. والثالث في الأفعال وهذا المعنى جاء في سورة الأنعام:٣،٤٧، والنحل:٧٥، والأعلى:٧.

(عليه السلام) المجاهرة في رؤية الله تعالى، وذلك كما جاء في القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.[1] ومثلها في سورة النساء، فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.[2] لكن لفظة الجهر في سورة النساء جاءت مرتان، والمرة الثانية كان الجهر بالصوت، ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.[3] وأن الجهر ليس فقط في حاستي السمع والبصر كما قال الأصفهاني وإنما حتى في الأفعال كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.[4] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.[5]

قيل في معنى الآية أقوال:[6]

---

(١) البقرة:٥٥.

(٢) النساء:١٥٣.

(٣) النساء:١٤٨.

(٤) الأنعام:٣.

(٥) الأنعام:٤٧.

(٦) ظ: التبيان: الشيخ الطوسي،٦/٥٣٤ ، مناهج الأحكام: الميرزا القمي، ٢٦٦.

القول الأول: التبعيض على ما عين من السنة، أي لا يجهر بكلها ولا يخفت بكلها. فـ(لا تجهر بصلاتك) يعني صلاة النهار، و(لا تخافت بها) يعني صلاة الليل التي يجهر بها في القراءة. فالجهر في صلاة الغداة واجب، وكذلك في الركعتين الأوليين من العشاءين.[1]

القول الثاني: لا تعلنها إعلانا يوهم الرياء، ولا تسترها بحيث يظن بك تركتها.

(وابتغ بين ذلك سبيلا) أي بين الجهر والمخافتة، ولم يقل بين ذينك؛ لأنه أراد به الفعل،[2] كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ﴾.[3]

التعقيب:

بيّن الله تعالى في بداية الأمر مدى ارتفاع الصوت في الصلاة. وكان هذا البيان واضحاً، لا بصوت مرتفع ولا بصوت منخفض، أي بين بين، فلماذا أعقب بعدها وقال (أبتغِ بين ذلك سبيلا)؟

وفي قوله تعالى(لا تجهر بصلاتك) يحتمل فيه وجهان لإرادة الله تعالى: وجه الصلاة بصوت منخفض، والوجه الآخر: الصلاة بصوت يسمع. ولكن الوجه الثاني غير محتمل؛ وذلك لأنه الله تعالى أعقب هذا القول بقول ينفي الضد فقال: (ولا تخافت) فيكون عنها الرأي الأصح إتيان الصلاة بصوت يسمع من هو حول المصلي. فكان هذا بياناً واضحاً للدرجة التي أرادها الله تعالى من المصلي.

---

[1] **ظ:فقه القرآن: القطب الراوندي،١٠٤/١ ، تفسير البيضاوي: البيضاوي،٤٧٢/٣.**

[2] **ظ:تفسير مجمع البيان: الطبرسي،٣٠٤/٦.**

[3] **البقرة:٦٨.**

فماذا لو كان المصلي لم يأتِ بالدرجة الصوتية التي حددتها الآية الكريمة؟. الجهر واجب، فأذا صلى المصلي ولم يجهر بنفس الدرجة التي حددتها الآية. يؤدي الى بطلان صلاته حتماً، لكن لما أعقب الله (جل وعلا) قائلاً: (وأبتغِ بين ذلك سبيلا) كان تفويضا منه تعالى للعبد في التحكم بدرجة الصوت. بشرط أن لا يكون مرتفعاً جداً، ولا منخفضاً. ولكن بدرجة التحكم وليس التعين. ولاسيما أن الناس تختلف في مقياس الصوت. إذ نجد في بعض الأحيان، بعضاً من الناس تتكلم بصوت منخفض لا يسمعه من هوفي حوار معه أي السامع ، وآخرون عندما يتكلمون مع شخص بصوت منخفض فأن جميع الجالسين سيسمعه. إذ إن درجة الصوت تعتمد على جبلة الشخص. فكان لطف الله عدم وضع درجة محددة في الصلاة. وإنما تركت لطبيعة الشخص. وهذا ما بينه التعقيب في القرآن الكريم.

التطبيق الثالث:

قال تعالى في محكم كتابه :﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .[1]

سبب النزول:

---

[1] **الأعراف: ٢٠٤.**

نزلت الآية لبيان الصلاة؛[١] لأن المسلمين ((كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض، وإذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه وكان مباحا فنسخ ذلك)).[٢] وقيل ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الصلاة فسمع قراءة فتى من الأنصار فنزل وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)).[٣] وقيل سبب آخر للنزول وهو ((أذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له)).[٤]

اللغة:

استمعوا: أي أصغوا، وهو فعل أمر من (سمع). واستمعت: يعني أصغيت. فيقال سمعك إلي: أي اسمع مني.[٥] والفرق بين استمع وسمع، ((استمع لما كان بقصد؛ لأنه لا يكون إلا بالإصغاء. وسمع يكون بقصد ومن دونه... والاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم ولهذا لا يقال أن الله يستمع)).[٦]

الإنصات: من (نصت) وهو السكوت مع الاستماع، أو الاستماع مع السكوت. وفي الإنصات حث على الاستماع.[٧] فيقال (أنصت) أي سكت سكوت مستمع ، و(أنصت غيره) إذ

---

[١] ظ: نهاية الإحكام: العلامة الحلي،٢/١٦٠.

[٢] التبيان: الطوسي،٥/٦٧.

[٣] تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر، ١/٢٥٤.

[٤] الكشاف: الزمخشري،٢/١٣٩ ،ظ:تفسير جوامع الجامع:الطبرسي،١/٣٧٥.

[٥] ظ: الصحاح: الجوهري،٣/١٢٣١-١٢٣٢.

[٦] الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري،٤٩.

[٧] ظ:التبيان: الطوسي،٥/٦٨ ، تفسير الميزان: الطباطبائي،٨/٣٧٩ ،مفردات غريب القرآن: الأصفهاني،٢٨٨.

أسكته.[١] ومعنى قوله (فاستمعوا له وأنصتوا) إذا قرأ الإمـــام فاســـتمعوا الـــى قراءتـــه ولا تتكلموا.[٢]

البيان:

سبب نزول الآية كان في الصلاة، إلا أن دلالة الآية عام وهو يوجب الاستماع للقـــرآن عند سماع قراءته في الصلاة أو دونها، واختلف المفسرون في المراد من حكم الآيـــة وفـــي تفسيرها قالوا أقوالاً:

فقسم يقول بوجوب الإنصات في الصلاة، إذ ((أمر الله تعالى المكلفـــين بأنـــه إذا قـــرئ القرآن أن يستمعوا له ويصغوا إليه ليفهموا معانيه ويعتبروا بمواعظه وأن ينصـــتوا لتلاوتـــه ويتدبروا ولا يلغوا فيه ليرحمهم)).[٣] ومن قال بهذا أيضاً اختلفوا، متى يُنصَت فـــي قـــراءة القرآن؟ فهم على قولين:[٤]

القول الأول: إنصات المأموم عند قرأت الإمام للقرآن الكريم في الصلاة: عن زرارة قال أبو جعفر (عليه السلام):((في الفريضة خلف الإمام)).[٥] ويـــرى ابـــن إدريـــس الشـــافعي (ت:٢٠٤هـــ) أن حكم الآية الإنصات في الصلاة ((أن قرأ المأموم سورة الفاتحة مع الإمـــام ولم يرفع بها صوته لم تمنعه قراءته في نفسه من الاستماع لقراءة إمامه فإنما أمرنا بالإنصات عن الكلام وما يجوز في الصلاة)).[٦]

---

[١] **ظ:لسان العرب: ابن منظور،٩٩ ، تاج العروس:الزبيدي،١٤٨/٣.**

[٢] **ظ:تاج العروس:الزبيدي،١٤٨/٣.**

[٣] **التبيان: الطوسي،٦٧/٥.**

[٤] **ظ: م.ن:٦٧/٥.**

[٥] **تفسير العياشي:محمد بن مسعود العياشي،٤٤/٢ ، ظ:تفسير القمي: القمي،٢٥٤/١.**

[٦] **ظ: أحكام القرآن: ابن إدريس الشافعي،٧٧/١.**

القول الثاني: الإنصات للإمام إذا قرأ القرآن الكريم في خطبته. قال الطوسي (ت:٤٦٠هـ):((لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حال قراءة الإمام في الصلاة، فأن على المأموم الإنصات لذلك والاستماع له. فأما خارج الصلاة فلا خلاف أنه لا يجب الإنصات والاستماع)).[١]

والقسم الآخر يرى وجوب الإنصات في الصلاة وغيرها. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) ((يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها)).[٢]

ويقول الزمخشري:((ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة و غير صلاة، وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن)).[٣]

والمراد من استمعوا له: أي أعملوا بما فيه ولا تجاوزاه. فاستمعوا طاعة لله وأنصتوا ابتغاء رحمته.[٤] فالدلالة العامة للآية الإنصات للقرآن في جميع القراءات وأن كان سبب النزول خاصاً في الصلاة. وهذا لا يعني أن كل من ينصت القرآن تشمله رحمة الله، لكن الاستماع والإنصات يكونا مقدمة من مقدمات نيل رحمة الله (جل وعلا).[٥]

التعقيب:

---

[١] التبيان: الطوسي،٥/٦٨.

[٢] تفسير العياشي:العياشي،٢/٤٤.

[٣] الكشاف: الزمخشري،٢/١٣٩ ،ظ:تفسير جوامع الجامع:الطبرسي،١/٧٣٥.

[٤] ظ: الكشاف: الزمخشري، ٢/ ١٣٩ ، تفسير نور الثقلين:الحويزي،٢/١١٣.

[٥] ظ:تفسير الميزان: الطباطبائي،٨/٣٧٩ ، الأمثل: الشيرازي،٣/٣٥٧.

الآية آية حكم بلا خلاف وهي تبين وجوب الإنصات عند قراءة القرآن الكريم. لكن أختلف المسلمون في تحديد الوقت الذي يجب فيه الإنصات. منهم من يرى وجوب الإنصات في الصلاة وذلك اعتمادا على سبب النزول. والبعض يرى أن سبب النزول كان في الصلاة وأصبح بعدها أمراً عاماً. ورأي ثالث يرى سبب النزول في الصلاة ودلالة الآية عامة.

فما اشتهر عند علماء الأصول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[1]، فضلاً عن هذا، إذ إن السياق القرآني الذي جاءت به الآية الكريمة، كان فيها الله تعالى يتحدث مع نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرشده في أمور، منها الاستعاذة بالله (عز وجل) من الشيطان وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما يتبع ما يوحى إليه، فبما أن السياق سياق إرشادات فكانت الآية الكريمة تُرشد المسلمين إلى الاستماع للقرآن الكريم.

وفي الآية بيان للمسلمين أنه إذا قرئ القرآن الكريم وجب عليكم الاستماع. أي وجب عليكم الإصغاء والاستفادة مما يأمركم به القرآن. فأن كان هذا بيّناً وواضحاً، فلماذا أعقب الله تعالى وقال (وأنصتوا)؟

أن الإنصات مشتمل للاستماع وزيادة. فهذا التعقيب يبين وجوب الاستماع للقرآن في كل الأوقات؛ لأن في الآية تشديد واهتمام في الاستماع للقرآن الكريم؛ لأن الله تعالى لم يرد من المسلمين الإصغاء والفهم فقط، وأنما أراد من المسلمين أن يصغوا ويفهموا ويقطعوا الكلام. ففي الإنصات أضاف حُكماً آخر للآية وهو عدم الكلام عند قراءة القرآن، إذ إن دلالة (استمع) تقتصر على الإصغاء والفهم، فتكون منفذ للمتكلمين بأن الآية لم توجب السكون عن الكلام وأنهم يفهمون القرآن الكريم من دون الحاجة للسكوت. ولكن لما أعقب قائلاً (وأنصتوا) فهنا

---

[1] **ظ:موجز علوم القرآن:د.داوود العطار،١٣٥.**

أثبت للآية حُكمين هما وجوب الإصغاء، ووجوب السكوت. من هنا يتضح أن للبيان والتعقيب دور في استنباط حكم من خلال آيات الأحكام.

التطبيق الرابع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

سبب النزول:

أنزلت في العهد.[2] فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:((من حلف يمينا يقتطع بها مال أخيه لقى الله (عز وجل) وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه (إن الذين يشترون بعهد الله...) قال [الحفار] فبرز الأشعث بن قيس[3] فقال: فيّ نزلت، خاصمت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقضى علي باليمين.))[4]

---

[1] **آل عمران:٧٧.**

[2] **ظ:الكافي: الكليني،٢/٣٢.**

[3] **الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (ت:٤٠هـ)، أبو محمد : أمير كندة في الجاهلية والإسلام . كانت إقامته في حضرموت ، ووفد على النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) بعد ظهور الاسلام، في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه. ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، لما آل الامر إلى علي كان الأشعث معه يوم صفين، على راية كندة . وحضر معه وقعة النهروان . وورد المدائن ، ثم عاد لي الكوفة فتوفي فيها على أثر اتفاق الحسن ومعاوية. ظ: الأعلام: الزركلي،١/٣٣٢.**

[4] **الأمالي: الطوسي، ٣٥٨ ،ظ:أسباب نزول الآيات: النيسابوري،٧٢-٧٤، و جاء الخبر بطرق متعددة.**

وقيل أنها نزلت في عيدان بن أسوع الحضرمي.[١] وقيل سبب نزول الآية في رجل أراد إنفاق سلعته فحلف يميناً كاذباً.[٢] وقيل نزلت في أبي رافع و جماعة إذ حرفوا التوراة و بدلوا صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذوا الرشوة على ذلك.[٣]

اللغة:

عهد الله: العهد هو ((حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا)).[٤] وعهد الله هو (ما يلزم الوفاء به. ويستحق بنقضه الوعيد).[٥]

أيمانهم: أي يمينهم، وهو اليمين في الحلف، فاليمين مستعار من اليد اعتبارا بما يفعله المعاهد والمحالف. إذ يضع كل واحد منهم يمينه بيمين الآخر. والمراد من إيمانهم في الآية الكريمة هو ما حلفوا به من إتباع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).[٦]

البيان:

الآية آية حكم عند جميع علماء المسلمين، والحكم المستفاد منها هو حرمة اليمين الكاذب. ويرى الجصاص (ت:٣٧٠هـ) دلالة الآية ((أن الأيمان ليست موضوعا للاستحقاق، وأنما موضوعها لإسقاط الخصومة)).[٧]

---

[١] **ظ: الغدير:الشيخ الأميني،١٦٥/٣.**

[٢] **ظ:التبيان: الطوسي، ٥٠٦/٢.**

[٣] **ظ:الكشاف: الزمخشري،٤٣٩/١.**

[٤] **مفردات غرب القرآن: الأصفهاني،٣٥٠.**

[٥] **التبيان: الطوسي،٥٠٧/٢.**

[٦] **ظ: مفردات غريب القرآن:الأصفهاني،٥٥٠ ، جوامع الجامع: الطبرسي،٣٠١/١.**

[٧] **أحكام القرآن: الجصاص،٢٣/٢.**

فوصف الله تعالى ما اشتروه من عرض الدنيا بأنه ثمن قليل؛ لأنه قليل في جنب ما يؤدي إليه من العقاب والتنكيل. من لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شـــيء يـــدخل الجنـــة؛ لأن النصيب الوافر من الخير بالتقدير لصاحبه يكون نصيباً له.[١]

وعهد الله تعالى يدخل فيه ((جميع ما أمر الله به ويدخل فيه ما نصب عليه الأدلة ويدخل فيه المواثيق المأخوذة من جهة الرسول، ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه؛ لأن كل ذلـــك مـــن عهد الله الذي يلزم الوفاء به)).[٢]

ويرى الجصاص (ت:٣٧٠هـــ) أن من يحلف على شيء ويدعي ملكيته ((يستحق بيمينه ما كان ملكا لغيره في الظاهر)).[٣] ويقول ابن العربي (ت:٥٤٣هـــ):((هذا دليل على أن حكم الحاكم لا يحل المال في الباطن بقضاء الظاهر إذا علم المحكوم له بطلانه)).[٤]

ويقول الطباطبائي في بيان معنى الآية:((لما نقض عهد الله وترك التقوى إنما هو للتمتع بزخارف الدنيا وإيثار شهوات الأولى على الأخرى كان فيه وضع متاع الدنيا موضـــع إفـــاء العهد والتقوى وتبدل العهد به ولذلك شبه عملهم ذلك بالمعاملة فجعل عهد الله مبيعا يشـــتري بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أي يبدلون العهد والإيمان من متاع الدنيا)).[٥]

ففي الآية الكريمة شرع الله تعالى بيان عقوبة من يحلف كاذبا، وجزاءه خمسة أنواع من العقوبات. أربع منها منع من الثواب، والخامس وشدة العذاب الذي سوف يقعون فيه.[٦]

---

[١] **ظ:الكافي: الشيخ الكليني،٣٢/٢ ، التبيان: الطوسي، ٥٠٧/٢.**

[٢] **تفسير الرازي: الرازي،١١١/٨.**

[٣] **أحكام القرآن: الجصاص،٢٣/٢.**

[٤] **أحكام القرآن: ابن العربي،٣٦٤/١.**

[٥] **ظ: الميزان: الطباطبائي،٢٦٣/٣.**

[٦] **ظ: تفسير الرازي: الرازي،١١٢/٨.**

فقوله تعالى (لا خلاق لهم في الآخرة) إشارة الى حرمانهم عن منافع الآخرة.[١] وقوله تعالى: (لا يكلمهم الله) فيه قولان:[٢]

١. لا يكلمهم بما يسرهم؛ لأنه تبع قوله (ثم أن علينا حسابهم) أي يكلمهم بما يسوءهم وقت الحساب لهم.

٢. لا يكلمهم أصلا، ويأمر الله تعالى الملائكة لحسابهم، وذلك لنقصان المنزلة.

فتكليم الله تعالى في الآخرة للمؤمنين هو لطفٌ لهم بأنهم سينالون ما ناله الأنبياء، وسينظر إليهم بعين رحمته.[٣]

(لا ينظر إليهم) أي لا يرحمهم بدلالة حرف الجر (الى) فأن النظر مع (الى) لا يفيد الرؤية. وهو مجاز عن الاستهانة بهم.[٤]

(لا يزكيهم) يعني لا يطهرهم من دنس ذنوبهم. أو بمعنى أنه تعالى لا يثني عليهم.[٥] فعندما قال: (لا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم) إشارة الى حرمانهم من التعظيم والاعتزاز، وقوله:(لهم عذاب إليم) إشارة الى العقاب.[٦]

التعقيب:

بينت الآية الكريمة حكماً من أحكام الله تعالى في القرآن الكريم، وهو حكم من حلف كاذبا. ولكن سبب النزول يحدد اليمن الكاذب في أدعاء تملك شيء ليس له. فقال تعالى:(أن

---

[١] **ظ: م.ن:١١٢/٨.**

[٢] **ظ: التبيان: الطوسي،٥٠٧/٢.**

[٣] **ظ:الأمثل: الشيرازي،٤٩٣/١.**

[٤] **ظ: التبيان: الطوسي،٥٠٨/٢ ، جوامع الجامع:الطبرسي،٣٠١/١.**

[٥] **ظ: المصدران نفسهما ،٥٠٨/٢ ، ٣٠١/١.**

[٦] **ظ: تفسير الرازي: الرازي،١١٢/٨-١١٣.**

الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا لا خلاق عليهم). فتبين لنا أن معنى الخلاق هو النصيب و التقدير الوافر. فلا خلاق لهم يعني لا نصيب لهم في نيل تقدير الله تعالى.

فبعد البيان بعدم التقدير لهؤلاء المتصفين بعدم الوفاء بالعهود. وهو عدم حصولهم على النصيب الوافر من الله تعالى، أعقب في توضيح منازل عدم التقدير عند الله تعالى.

فقال لا يكلمهم، وعرضنا ما قاله المفسرون في بيان هذا المعنى فقالوا: عدم التكليم مطلقا، ويوكل هذا الأمر للملائكة. لكن محاسبة الملائكة للكذابين لا يعني نقصان المنزلة إذ إن الملائكة مكرمون عند الله تعالى بطاعتهم له (جل وعلا). وهل عدم مخاطبة الله تعالى للأنبياء يعني ترفعاً لشأنه وتكرما من مخاطبة الأنبياء. ومنهم الخليل ومنهم الروح ومنهم الحبيب. هذا يعني عدم صحة الرأي القائل لا يكلمهم الله أصلا. وكلمة الله تعالى هي فعله، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.[1]

وأضاف تعالى معقبا أيضا فقال (ولا ينظر إليه ولا يزكيهم ولهم عذاب إليم) فهي من أفعال الله تعالى يوم القيامة. إذ نظرة الله سبحانه للعبد هي رحمته له وتطهير. فأن قوله (لا خلاق لهم) غير كافية في بيان المنزلة التي سيصلون إليها.

فكان للبيان والتعقيب دور في إظهار منازل الحكم. وشدة سوء الفعل.

---

[1] **الأنعام: ١١٥.**

الخاتمة

جعل الله سبحانه وتعالى البيان والتعقيب ظاهرة مهمة في الأسلوب القرآني ليقف الإنسان على معاني ودلالات أراد الباري عز وجل من الإنسان أن يصل إليها ويفقه معناهـــا ويلتـــزم بدلالاتها، وقد وجد البحث ما يأتي:

- أسلوب البيان القرآني تفوق على أسلوب العرب وهم أهله. وكان يحمل فـــي طياتـــه أغراضاً منها التوضيح والترهيب والترغيب والتشويق، وغيرها من الأغراض التي تشكل حافزاً للفرد بالاقتراب والابتعاد عن الأشياء. وكان البيان يستوفي بالإيضـــاح، فضلاً عن ذلك نجد جملاً وكلاماً يليه، وهو ما يسمى بالتعقيب.
- البيان غير التعقيب، فالبيان إظهار المعنى المراد إفهامه للسامع، إما التعقيـــب فهـــو الحكم على البيان، بالسلب والإيجاب. ويلي البيان سياقاً.
- عمل البيان والتعقيب على إيضاح آليات الحوار والكيفيـــة، والـــدور الـــذي يتخـــذه المحاور. إذ أعطانا القرآن الكريم درساً في ذلك للأفادة من اخلاقيات الحوار.
- قدرة البيان والتعقيب بأسلوب الحوار على إيضاح كيفية المخاطبة مع الطواغيت في كل زمان ومكان، فمن الأسس التي بينتها التحمل على سماع مـــا لا يرغـــب بـــه، والحنكة في الكلام، والتسلح بالعلم والمعرفة، وأدارة الحوار، والوثوق بصـــحة مـــا تدعيه، والصبر عند المحاورة، والالتزام بالهدوء والسكينة عند السماع وعند الإلقاء.

فلابد من معرفة هوية الطرف الآخر، إذ تجعل من المحاور ملتزما بقواعد وأصـــول الموضوع. ويكشف لنا البيان والتعقيب في الحوار وجوب الإذعان للحق ولو كان فيه لوعة ومرارة عند تجرعها. إذ أنها تضفي للحوار صفة المصداقية.

- ظاهرة البيان والتعقيب بأسلوب الاستفهام متميزة لقدرتها على تهيئة ذهـــن المتلقـــي بتحفيز انتباهه لاستقبال الفكرة ومعرفة مراميها في النص القرآني، ويأتي التعقيـــب لتوضيح الفكرة عند المتلقي فيثبت ويصور ما نفاه البيان واستجهل صورته.
- إن التعقيب يوضح الوحدة الإلهية بصورة جلية، وكيف أن صفات الله جميعها تـــدل على وحدتها مع تمايز في خصوصية كل منها.
- كما أن مهمة البيان والتعقيب تؤدي دور بارز في إيضاح الخطـــاب القرآنـــي ومـــا يوصله للمتلقي. وإيضاح أهمية الإعجاز القرآني.

المصادر والمراجع:

١. خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي(ت:٩١١هـ)، تحق: سعيد المندوب، ط١، ١٤١٦-١٩٩٦م، لبنان-دار الفكر.

٣. أحكام القرآن : محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، تحق: عبد الغني عبد الخالق، ١٤٠٠هـ، مطبعة ونشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. أحكام القرآن: الجصاص (ت:٣٧٠هـ)، تحق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٥. أحكام القرآن: ابن العربي (ت:٥٤٣هـ)، تحق: محمد عبد القادر عطا، مطبعة ونشر: دار الفكر، بيروت-لبنان.

٦. آداب الحوار و قواعد الاختلاف: د.عمر بن عبد الله كامل

٧. أسباب نزول الآيات: الواحدي النيسابوري(ت: ٤٦٨هـ)، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، نشر: مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.

٨. الاستذكار: ابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ)، تحق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، ٢٠٠٠م، مطبعة ونشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. أسلوب التعقيب في القرآن الكريم: د. محمد كريم الكواز، نشر: جامعة السابع من أبريل، ط١، ١٤٢٥هـ، بنغازي- ليبيا.

١٠. أسلوب التعقيب القرآني مقاربة جمالية: د. أسامة عبد العزيز جاب الله، نشر: ومطبعة: دار ومكتبة الإسراء، ط١، ٢٠٠٩م.

١١. إعجاز القرآن: الباقلاني (ت:٤٠٣هـ)، تحق: السيد أحمد صقر، ط٣، نشر: دار المعارف- مصر.

١٢. الأعلام: خير الدين الزركلي(ت:١٤١٠هـ)، ط٥، ١٩٨٠م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

١٣. ألاء الرحمن في تفسير القران: محمد جواد البلاغي النجفي، دار أحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١٤. الألطاف الإلهية في الخطابات القرآنية: السيد عبد الله الشبستري، ط١، ١٤١٦هـ، مطبعة: سبهر، نشر: مؤسسة الرسالة، إيران.

١٥. الأمالي: الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، تحق: قسم الدراسات الإسلامية، قسم البعثة، ط١، ١٤١٤هـ، نشر: دار الثقافة، قم-إيران.

١٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

١٧. إملاء ما من به الرحمن: أبو البقاء العكبري (ت:٦١٦هـ)، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

١٨. أوائل المقالات: الشيخ المفيد(ت:٤١٣هـ)، تحق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، نشر: دار المفيد، بيروت- لبنان.

١٩. بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: السيد مير محمدي زرندي، ط١،١٤٢٠هـ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٢٠. البرهان:الزركشي(ت:٧٩٤هـ)، تحق:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦-١٩٥٧م، نشر دار الكتب العربة، عيسى البابي الحلبي.

٢١. البليغ في المعاني والبيان والبديع: الشيخ أحمد أمين الشيرازي، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، نشر انتشارات فروغ قرآن.

٢٢. البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي (ت:١٤١١هـ)، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، نشر:دار الزهراء، بيروت-لبنان.

٢٣. البيان والتبيين: أبو عثمان الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحق: عبد السلام هارون، ط٤، نشر: دار الفكر، بيروت-لبنان.

٢٤. تاج العروس: الزبيدي(ت : ١٢٠٥ هج)، تحق: علي شيري، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الفكر بيروت .

٢٥. التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفرئيني، مصر، مكتبة الخانجي.

٢٦. التبيان: الشيخ الطوسي:(ت: ٤٦٠هـ)، تحق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٣٠٩هـ، نشر وطباعة: مكتب الإعلام الإسلامي.

٢٧. تجديد الخطاب الديني: بين الحقيقة والأوهام: سيد علي طاهر السلمان، نشر: مؤسسة أمير المؤمنين (عليه السلام)، مطبعة: شريعة، ط١، ١٣٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٢٨. التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، نشر: المكتبة القانونية، بغداد.

٢٩. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، تحق: إبراهيم الأنباري.

٣٠. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ود.زكريا عبد المجيد النوقي ود. أحمد النجولي الجمل، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٣١. تفسير ابن كثير: ابن كثير(ت:٧٧٤هـ)، تحق:يوسف عبد الرحمن المرعشلي،١٤١٢هـ-١٩٩٢م، نشر: دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٣٢. تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي (ت:١٤٨هـ)، تحق:عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين والشيخ محمد هادي معرفة، ط١، ١٤٢٠هـ، مطبعة ونشر: دفتر نشر الهادي.

٣٣. تفسير أبي السعود: أبي السعود(ت: ٩٥١هـ)، مطبعة ونشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٤. التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني(ت: ١٩٠١هـ)، تحق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ومحمد حسين درياتي ومحمد رضا نعمتي، ط١، ١٣٢٠هـ، مطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، نشر: المركز التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

٣٥. تفسير الآلوسي: الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ).

٣٦. تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): المنسوب الى الإمام العسكري (ت:٢٦٠هـ)، تحق: مدرسة الإمام المهدي(عليه السلام)، ط١، ١٤٠٩هـ، مطبعة: مهر، نشر: مدرسة الإمام المهدي، قم-إيران.

٣٧. تفسير البيضاوي: البيضاوي (ت:٦٨٢هـ)، نشر ومطبعة: دار الفكر، بيروت.

٣٨. تفسير الثعلبي: الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ)، تحق: أبو محمد بن عاشور ونظير الساعدي، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، نشر ومطبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٣٩. تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، تحق ونشر وطباعة: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ، قم-إيران.

٤٠. تفسير الرازي: الرازي (ت:٦٠٦هـ)، ط٣.

٤١. تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي(ت:٣٨٣هـ)، تحق: د.محمود مطرجي، مطبعة ونشر: دار الفكر، بيروت- لبنان.

٤٢. تفسير السمعاني: السمعاني(ت: ٤٨٩هـ)، تحق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، نشر ومطبعة: دار الوطن، الرياض- السعودية.

٤٣. تفسير شبر: السيد عبد الله شبر (ت:١٤٢٢هـ)، تحق:د.حامد حفني داوود، ط٣، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، مطبعة ونشر: السيد مرتضى رضوي.

٤٤. التفسير الصافي: الفيض الكاشاني(ت:١٠٩١هـ)، تحق: السيد محسن الحسيني الأميني، ط١، ١٤١٦هـ، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران-إيران.

٤٥. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي (ت:٣٢٠هـ)، تحق:هاشم الرسولي المحلاتي، نشر: المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٤٦. تفسير غريب القرآن: فخر الدين الطريحي(ت:١٠٨٥هـ)، تحق: محمد كاظم الطريحي، نشر:انتشارات زاهدي، قم.

٤٧. تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي(ت:٣٥٢هـ) تحق: محمد كاظم، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، نشر ومطبعة: وزارة الثقافة والإرشاد، طهران-إيران.

٤٨. تفسير القران الكريم: السيد مصطفى الخميني (ت:١٣٩٨هـ)، ط١، مؤسسة العروج.

٤٩. تفسير القرطبي: القرطبي(ت:٦٧١هـ)، تحق:محمد محمد حسنين، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٥٠. تفسير القمي: علي بن إبراهيم ألقمي:(ت:٣٢٩هـ)، تحق:السيد طيب الموسوي الجزائري. ١٣٨٧هـ، مطبعة: النجف.

٥١. تفسير كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدي (ت:١١٢٥هـ)، تحق: مجتبى العراقي، ١٤٠٧هـ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران.

٥٢. تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر (ت:١٠٤هـ)، تحق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد.

٥٣. تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي(ت:٥٤٨هـ)، تحق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان.

٥٤. تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان(ت:١٥٠هـ)، تحق:أحمد فريد، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، مطبعة: لبنان/ بيروت- دار الكتب العلمية، نشر: دار الكتب العلمية.

٥٥. تفسير الميزان: الطباطبائي:(١٤١٢هـ)، نشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم المقدسة.

٥٦. تفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي (ت:١١١٢هـ)، تحق:سيد هاشم الرسولي، ط٤، ١٤١٢هـ، مطبعة ونشر: مؤسسة إسماعيليان، قم.

٥٧. التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد: كلية الآداب، الرباط، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

٥٨. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحق: د.محمد رضوان الداية، ط١، ١٤١٠هـ، نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان.

٥٩. ثلاث رسائل في إعجاز القران: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحق:محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف- مصر.

٦٠. جامع البيان: أبن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحق: الشيخ خليل الميس وصدقي جميل العطار. ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، نشر: دار الفكر، بيروت- لبنان.

٦١. جمل العلمك الشريف المرتضى.

٦٢. جمهرة اللغة: ابن دريد (ت:٣٢١هـ)، ط١، ١٣٤٥هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية.

٦٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، أشراف: صدقي محمد جميل، طباعة ونشر: مؤسسة الصادق(عليه السلام)، طهران.

٦٤. حقيقة الخلاف بين المتكلمين: د.علي عبد الفتاح المغربي، ط١، ١٤١٥ه-١٩٩٤م، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة-مصر.

٦٥. حوار الحضارات: محمد خاتمي.

٦٦. الحوار في القرآن الكريم آدابه وفضائله: إبراهيم خليل.

٦٧. الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته: محمد حسين فضل الله، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، نشر: الدار الإسلامية.

٦٨. الحوار مع أتباع الأديان: منقذ بن محمود السقار.

٦٩. الحوار مع الآخر: محمد علي التسخيري، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، نشر: المجتمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٧٠. الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه: أحمد بن سيف الدين.

٧١. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مكتبة وهبة، القاهرة.

٧٢. الخصال: الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ)، تحق: علي أكبر الغفاري، ١٤٠٣هـ، جماعة المدرسين في الحوزة اعلمية، قم-إيران.

٧٣. الخطاب الديني دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة": د.خلود العموش، ط١، ١٣٢٩هـ-٢٠٠٨م، مطبعة: عالم الكتب الحديث.

٧٤. دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام: باقر الأيرواني.

٧٥. دروس في العقيدة الإسلامية: محمد تقي مصباح اليزدي، نشر: مؤسسة الهدى، ترجمة: سيد هاشم محمد، ط٣، ١٤٢٣هـ.

٧٦. دلالة أسلوب التعقيب في القرآن الكريم: أحمد كاظم عمّاش.

٧٧. الروضة في فضائل أمير المؤمنين: شاذان بن جبرئيل القمي (ت:٦٦٠هـ)، تحق: علي الشكرجي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧٨. زاد المسير:ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧، نشر:دار الفكر، بيروت-لبنان.

٧٩. سماء المقال في علم الرجال: أبو الهدى الكلباسي(ت:١٣٥٦هـ) تحق: السيد محمد الحسيني القزويني، ط١٤١٩،١هـ، المطبعة: أمير - قم، الناشر: مؤسسة ولي العصر (عليه السلام) للدراسات الإسلامية-قم المشرفة.

٨٠. سنن الترمذي: الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، تحق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، نشر: دار الفكر، بيروت- لبنان.

٨١. شرح ابن عقيل: ابن عقيل (ت:٧٦٩هـ)، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ١٤٣٧هـ، مطبعة: بعثت، نشر: دار الميزان، قم-إيران.

٨٢. شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني (ت:١٠٨١هـ)، تحق وتصحيح: الميرزا أبو الحسن الشعراني، السيد علي عاشور، ط:١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، المطبعة ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٨٣. شرح التجريد: القوشجي.

٨٤. شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستراباذي (ت:٦٨٦هـ)، تحق:يوسف حسن عمر، ١٣٩٥-١٩٧٥م، نشر مؤسسة الصادق-طهران.

٨٥. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني (ت:ق٥هـ)، تحق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٨٦. الصحاح: الجوهري(ت:٣٩٣هـ)، تحق:أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٤٠٧هـ، مطبعة ونشر: دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

٨٧. صحيح مسلم: مسلم النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت- لبنان.

٨٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: السيد يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيمالعلوي اليمني (ت:٧٤٩هـ)، تحق: محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٨٩. العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٧هـ)، تحق:عبد الحكيم محمد الأنيس، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، مطبعة ونشر: دار ابن الجوزي، السعودية.

٩٠. عقائدنا: طارق محمد علي، ٥ محرم ١٤١٨هـ.

٩١. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت:العلامة جعفر السبحاني، تحق: جعفر الهادي، دار التعارف للمطبوعات، سورية.

٩٢. علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم، ط٣، ١٤١٧هـ، مطبعة: الهادي، نشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم.

٩٣. عماد الإسلام: علي دلدار.

٩٤. الغدير: الشيخ: الأميني (ت:١٣٩٢هـ)، ط٤، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

٩٥. غريب الحديث: ابن سلام (ت:٢٢٤هـ)، تحق:محمد عبد المعيد خان، ط١، ١٣٨٤هـ، مطبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

٩٦. فتح القدير: الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ)، نشر ومطبعة:عالم الكتب.

٩٧. الفروق اللغوية:أبو هلال العسكري(ت:٣٩٥هـ)، تحق:مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٣١٢هـ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٩٨. فقه القرآن: القطب الراوندي (ت:٥٧٣هـ)، تحق:السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٩٥هـ، نشر:مكتبة المرعشي.

٩٩. قاموس الرجال: السيخ محمد تقي التستري، تحق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ، قم-إيران.

١٠٠. القاموس المحيط: الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ).

١٠١. قواعد في العقائد: نصير الدين الطوسي(ت:٦٧٢هـ)، تحق: الشيخ علي الرباني الكَلبايكَاني، مطبعة: أمير، قم، ١٤١٦هـ، نشر: لجنة إدارة الحوزة العلمية.

١٠٢. الكافي: الشيخ الكليني (ت:٣٢٩هـ)، تحق: علي أكبر الغفاري، ط٤، مطبعة: الحيدري، نشر:دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران.

١٠٣. كتاب العين: الخليل الفراهيدي(ت:١٧٠هـ)، تحق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، ط٢، ١٤١٠هـ، مطبعة: الصدر، نشر: مؤسسة دار الهجرة.

١٠٤. كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي (ت:ق ١٢هـ)، تحق: لطفي عبد البديع، تحق: د. عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة: أمين الخولي، نشر: المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣.

١٠٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، نشر ومطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، وعباس ومحمد ومحمود الحلبي وشركاهم.

١٠٦. لسان العرب: ابن منظور(ت:٧١١هـ)، ١٤٠٥هـ، نشر: أدب الحوزة، قم-إيران.

١٠٧. لمحات في أصول العقيدة الإسلامية (سلسلة المعارف الإسلامية للناشئة والشباب): السيد فاضل الموسوي الجابر، نشر: مركز الرسالة، مطبعة: ستاره، ط١، ١٤٢٣هـ، قم- إيران.

١٠٨. مباحث في علوم القرآن: د. صبح الصالح، ٢٠٠٩م، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.

١٠٩. مجتمع اللاعنف دراسة في واقع الأمة الإسلامية: حسن السيد عز الدين بحر العلوم، ط١، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م، مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي، دولة الكويت.

١١٠. مجمع البحرين: الشيخ الطريحي (ت:١٠٨٥هـ)، تحق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٨هـ، نشر: الثقافة الإسلامية.

١١١. محاضرات في تفسير آيات الأحكام: الاستاذ الدكتور عبد الأمير كاظم زاهد، العارف، ط١، ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ، بيروت- لبنان.

١١٢. محاضرات في العقيدة الإسلامية: أحمد البهادلي، ط٣، بغداد، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١١٣. مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر (ت:٧٢١هـ)، تحق:أحمد شمس الدين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، نشر:دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

١١٤. المدرسة القرآنية: السيد محمد باقر الصدر (ت:١٩٨٢م)، ط٣، ١٤٢٦هـ، مطبعة: شريعت، نشر: مركز الأبحاث و الدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم- إيران.

١١٥. مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، نشر: دار صادر، بيروت- لبنان.

١١٦. مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر: د.محمد الفرّان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، مطبعة: دار أبي رقراق، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط- المغرب.

١١٧. مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي لطائف وأسرار:د.رشاد محمد، ط١، ١٣١٦هـ-٢٠٠٦م، مكتبة الجامعة، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة.

١١٨. معاني القرآن: النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٩هـ، نشر: جامعة أم القرى، السعودية.

١١٩. معجم رجال الحديث: السيد الخوئي (١٤١١هـ)، ط٥، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٢٠. المعجم الكبير: الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحق: حمدي عبد المجيد السلفس، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، نشر: دار إحياء التراث العربي.

١٢١. المغني في أبواب العدل والتوحيد: القاضي عبد الجبار، قسم التعديل والتجوير، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني.

١٢٢. مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٤٠٤هـ، نشر:مكتبة المرعشي النجفي، قم-إيران.

١٢٣. مفتاح العلوم: السكاكي (ت:٦٢٦هـ)، تحق: نعم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٢٤. مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: (ت:٥٠٢هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ، نشر: دفتر نشر الكتاب.

١٢٥. مفهوم النص دراسة في علوم القران:د. نصر حامد، ط ٦، ٢٠٠٥ م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.

١٢٦. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (ت:٥٨٨هـ)، تحق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م. نشر ومطبعة: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

١٢٧. مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): محمد بن سليمان الكوفي (ت:٣٠٠هـ)، تحق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤١٢هـ، مطبعة: النهضة، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة.

١٢٨. مناهج الأحكام: الميرزا القمي (ت:١٢٣١هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ، نشر ومطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

١٢٩. مناهل العرفان في علوم القران: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ط ٣ .

١٣٠. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ)، تحق: علي أكبر الغفاري، ط٢، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

١٣١. موجز علوم القرآن:د.داوود العطار، ط٤، ١٣٨٤هـ، نشر: ذوي القربى، مطبعة: المهدية.

١٣٢. نهاية الإحكام: العلامة الحلي(٧٢٦هـ)، تحق: مهدي الرجائي، ط٢، ١٤١٠هـ، نشر: مؤسسة إسماعيليان، قم-إيران.

١٣٣. النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير(ت: ٦٠٦هـ)، تحق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط٤، نشر: مؤسسة إسماعيليان، قم- إيران.

١٣٤. نواسخ القرآن: ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، نشر:دار الكتب العلمية، بيروت.

مجلات و دوريات

١. جريدة الشرق الأوسط: العدد ١١٩٣٥، الثلاثاء/٣/رمضان/ ١٤٣٢هـ - ٢/أغسطس/٢٠١١م.

٢. مجلة فصل: العدد الثاني، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الحوار المذهبي في الإسلام: عبد العظيم جبر.

شبكات الإنترنيت:

1)www.ipc-kw.net.

2)www.dahsha.com.

3)www.shroog2.com.

4)forum.islamstory.com.

5)http:// www.al.islam.com.

The second chapter exhibits Explanation and commentary in the issues of doctrine and ahkam, it includes two topics :- the first one is explanation and commentary in the issues of doctrine, t also has three sections :- the doctrine concept, the doctrine importance and the doctrine, respectively. The second topic is devoted for the Ahkam within two sections :- the ahkam`s verses concepts and the application of explanation and commentary in the ahkam`s verses.

The importance of explanation and commentary has been shown in the third chapter within two topics each contains two sections. The first topic is entitled (The importance of explanation and commentary in the religious speech), its sections are (the religious speech concept; its images and elements, the Qura`nic speech and the renewal of the religious speech) and the applications of the religious and Qura`nic speech importance).The second topic deals with the miracle importance of explanation and commentary within two sections:- the miracle concept and the applications.

The conclusion includes the most important results that the researcher obtained.

Abstract

Praise be to God, the Lord of Worlds, who had revealed the Holy Qur'an to the heart the of honest seal Mohammed bin Abdullah Peace be upon him and his pure progeny:

Explanation and commentary phenomena is a very important one for the Qur`anic studies, it activates mind and guides it to the expression significance and semantic and technical values. Commentary reveals the Qur`anic structures significance and meaning that are exist in the Qur`anic context to be acquainted with the purposes, legislations and rules of His Almighty God.

In the speech order, commentary follows the explanation, it has a significance function, to clarify the Qur`anic context, as well as the aesthetic function, to harmonize the rhythm of the verses beginnings and ends.

Due to the importance of this phenomena, the researcher decides to study in an academic thesis.

The thesis is divided into a preface, three chapters and a conclusion. The preface is entitled (Explanation and commentary concept in the Arabic Language), it deals with this concept in language and

tradition.(Explanation and commentary in the dialogue and inquiry styles) is the title of the first chapter which includes two topics, the first one is Explanation and commentary in the Qura`nic dialogue which is dealt with within four sections :-the dialogue concept in language and tradition, the dialogue elements and aims, the Islamic dialogue bases and the Qura`nic dialogue, respectively. The second topic studies Explanation and commentary in inquiry within four sections, the inquiry concept in language and tradition, the inquiry uses, the inquiry divisions aid the inquiry tools, respectively.

Ministry of Higher Education & Scientific Research
University of Kufa
College of Jurisprudence

Explanation and Commentary in the Holy Qur'an

'' Explanatory Study ''

Thesis

Submitted to the Council of the College of Jurisprudence \ University of Kufa

by:

Lewaa Hemaizah Kadhim Al-Ayashy

as a Partial Fulfillment of the Requirements of the M.A. in Shar`ea & Islamic Science

Supervised by:-

Assist. Prof. Dr. Sabah Kadhim Enooz

2012A.D **1433A.H**